جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر ((صالح بن عبدالقدوس البصري (ت ١٦٧هـ-٧٨٣م) وموازنتها بقصيدة على بن ابى طالب))

الدكتورة

منى عبد الله على فراج

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية

دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر ((صالح بن عبد القدوس البصري (ت ١٦٧هـ-٧٨٣م) وموازنتها بقصيدة على بن ابى طالب))

البحث تحليل بلاغي لقصيدة من قصائد الشاعر" صالح بن عبد القدوس البصري(ت ١٦٧هـ - ٧٨٣م) هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى، ويرجح أنه فارسى الأصل ممن ولد ونشأ بالبصرة ، وتسمى بالقصيدة الزينبية وهى قصيدة حكمية وزهديه ذات نصائح ومواعظ أخلاقية ، فلا يكاد حديث ناصح أو مرب فاضل يخلو من الاستشهاد ببعض أبياتها وإن جهل قائلها أو نسب جهلا إلى غيره مما يدل على عظم هذه القصيدة،،وقد تميزت القصيدة بسلاسة الأسلوب ووضوح المعانى مع المحافظة على الجزالة والفصاحة فهى تعتبر من أروع الشعر العربى لجزالة عباراتها، ونفاسة حكمها ،وفوائد نصائحها ،وقد صيغت بأسلوب أدبي بليغ .

بدأت بمقدمة غزلية جميلة تطرق بعدها الشاعر إلى المواضع الأخلاقية والحكمية ، فرغم أنها بدأت بالمقدمة الغزلية إلا أنها ليست من نوع القصائد الغزلية ،بل أبياتها كلها فى الحكمة والزهد ومحاسبة النفس .

أختلف المؤرخون فى قائل هذه القصيدة ،ولمن تنسب فمنهم من قال أنها تنسب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقد وردت فى ديوانه، ونسبت أيضا لصالح بن عبد القدوس البصري الذى عاش فى العصر العباسى الأول.

وعلى رضى الله عنه سيد البلغاء والفصحاء ،ولكن هناك حقائق تثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس وهذه الحقائق قد أوردتها فى البحث .

وقد تهيأ للبحث في ذلك خطة مكونة من مقدمة تحدثت فيها باختصار عن الموضوع – سبب اختياري له ، والخطة الموضوعة لدراسته.

ثانيا : التمهيد : وتحدثت فيه عن

١- الشاعر :مولده ونسبه ونشأته ، وحياته ثم اتهامه بالزندقة ووفاته.

٢- تحدثت بإيجاز عن القصيدة ولمن تنسب .

ثم قمت بتحليل القصيدة تحليلا بلاغيا ؛ولأن القصيدة كلها تتحدث فى موضوع واحد فلم أقسمها إلى موضوعات ؛ولكن قمت بتجزئة القصيدة وكل مجموعة من الأبيات وضحت الألفاظ الغامضة وإبراز معانيها من المعاجم اللغوية، ثم التحليل البلاغى الذي يوضح جمال الصياغة والأسرار البلاغية وراء استخدام الألفاظ والمعانى المناسبة والتراكيب التى تضفى على الكلام حسنا وبهاء لما لها من اثر فى تثبيت المعنى وتقويته ،وبعد ان انتهيت من تحليل القصيدة كلها تحليلا بلاغيا وانتهيت بذلك من البحث اردفته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها والتى تتضمن السمات التى اتسم بها الشاعر فى هذه القصيدة والتى من أهمها :

* ثقافة الشاعر الدينية فهو متأثر بالقران والسنة النبوية حيث كانت ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما زالت موردا عذبا يستقى منه الشعراء للارتقاء بأساليبهم ،وشاعرنا من أولئك الشعراء الذين اقتبسوا منها فجاءت معظم ألفاظ القصيدة مقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثلة على ذلك كثيرة وردت فى البحث من خلال تحليل الأبيات.

* يحتل الأمر والنهي الصدارة من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشاعر في قصيدته ؛ وذلك لأن غرضها النصح ، فجاء مبناها على غرار (افعل ولا تفعل).

* مال الشاعر إلى التشخيص والتجسيد فى خياله فاستخدم الاستعارة بكل أنواعها ، وكانت في غاية الدقة والأحكام ، حيث كانت وسيلة في تحويل المعنويات إلي محسوسات وكائنات حية لها ما للإنسان من صفات .

د منى عبد الله على فراج
المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببنى سويف
Email : dr-monaaabdalla@yahoo.com

Summary of the research in English
(A rhetorical analytical study of the Zenbi poem)

Research rhetorical analysis of a poem of the poems of the poet "Saleh bin Abdul Quddus al-Basri (d. ١٦٧ AH - ٧٨٣ AD) he is: Abul Fadl Saleh bin Abdul Quddus Al-Basri, and is likely to be a Persian origin who was born and raised in Basra, called the poem Zeinabia It is Judgmental and ascetical with tips and moral sermons

It is hardly a speech of advice or a virtuous educator without the martyrdom of some of its verses, even if the ignorance of the saying or attributed ignorance to others, which indicates the greatness of this poem, and the poem was characterized by smooth style and clarity of meanings while maintaining the abundance and eloquence it is considered Of the finest Arabic poetry for the indulgence of its phrases, And the purity of its wisdoms, and the benefits of her tips, it has been drafted in a literary style eloquent.

It began with a beautiful flirtatious introduction, after which the poet turned to moral and judgmental matters, although it began with the introduction of the spinning, but it is not the type of spinning poems, but its verses in wisdom and asceticism and self Punishing

Historians disagreed in saying this poem, and for those attributed, some of them said that it is attributed to Ali bin Abi Talib, may Allah be pleased with him, has received in his book, and also attributed to the salih of bin Abdul Quddus Basri, who lived in the first Abbasid era.

And Ali may Allah be pleased with him the master of rhetoric and eloquent, but there are facts prove that this poem by the poet Saleh bin Abdul Quddus and these facts have been reported in the research.

A plan consisting of an introduction in which I briefly talked about the topic - an optional reason for it, and a plan for its study - was prepared for the discussion.

Second: Preface: I talked about the ١-poet: birth, descent and origin, and his life and then accused of heresy and death.

٢- spoke briefly about the poem and to whom attributed.

Then I analyzed the poem rhetorically; because the whole poem speaks in one subject I did not divide it into topics; But I divided the poem

and each group of verses and clarified the vague words and highlight their meanings of linguistic dictionaries, and then rhetorical analysis that shows the beauty of the wording and rhetorical secrets behind the use of appropriate words and meanings and

And the structures that give the speech well and splendor because of its impact in the stabilization of meaning and strengthen it, and after I finished the analysis of the poem all rhetorical analysis

I concluded with the conclusion of the research by mentioning the most important findings, which includes the features that characterized the poet in this poem, which are the most important:

***The poet's religious culture is influenced by the Koran and the Sunnah where the words of the Koran and the Hadith were still a sweet resource from which poets are drawn to improve their methods. And our poet of those poets who quote them came most of the words of the poem quoted from the Koran and Hadith, and many examples of this In the research through the analysis of verses**

:*Occupy the command and forbidding of the structural methods used by the poet in his poem; because the purpose of advice, came building like (do and not do) .

:*The poet tended to diagnosis and embodiment in his imagination used metaphor of all kinds, and was very accurate and judgments, where it was a way in the conversion of morale to the senses and organisms have the qualities of man

an introduction

Dr Mona Abdullah Ali Farrag

Teacher in Department of Rhetoric and Criticism,
Faculty Islamic and Arabic Studies
For girls in Beni Suef
Email : dr-monaaabdalla@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى فتق بالبيان ألسن الشعراء ،وجمل بالبلاغة نثر الأدباء، والصلاة والسلام على أفصح خلق الله وأبينهم وأصدقهم وأعقلهم ، سمع الشعر وكافأ عليه ، وجعله فى مسيرة الدعوة إلى هدي الله ،فقد قال صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت " اهجهم وروح القدوس معك " (١)

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا "أن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة "(٢)

وبعد .....

فإنه لا يوجد أدب يثبت بين قومه جيلا بعد جيل حتى يحمل بين طياته ما ينفع الناس أو ما يعبر عن حياتهم والشعر الذي يحتوى على الحكم والنصائح والفضائل هو من ذلك الشعر الذي يثبت بين قومه جيلا بعد جيل وتأكيدا لهذه الحقيقة فإني استخرت الله تعالى فى أن أقدم هذا البحث الذي يتناول قصيدة من قصائد الحكمة ،فالحكمة صدى لفطرة الشعراء الصافية، وتجاربهم الكثيرة ،وقدرتهم على استخلاص العبر من الأحداث التى تمر بهم ، وهي ينبوع المكارم فى الأخلاق والصفات ،وهى الخير الكثير والفضل العميم الذى يمن به الله عز وجل على من يشاء من عباده ، والشعر الحسن

---

(١) رواه البخاري : صحيح البخاري تحقيق محمد عبد القادر عطا ج ٣ ص ٢٤٨ دار التقوى للتراث ط ١ سنة ٢٠٠١م .

(٢) رواه البخاري المرجع السابق ج ٣ ص ٣٤٦.

هو المشتمل على "الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب" [١] ، وخيره (ما دل على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة تروض جماح الهوي ،وتبعث على التقوي ،وتبين موضع القبح والحسن فى الأفعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال) [٢]، والمقبول منه والجيد هو الذي نظم (فى توحيد الله والثناء عليه ،والحكمة ،والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة)[٣]

ولقد وقع اختياري بعد بحث ونظر على قصيدة من أشهر القصائد التى تشتمل على أبيات الحكمة ،فلا يكاد حديث ناصح أو مرب فاضل يخلو من الاستشهاد ببعض أبياتها وإن جهل قائلها أو نسب جهلا إلى غيره مما يدل على عظم هذه القصيدة ،وهى القصيدة الزينبية للشاعر "صالح بن عبد القدوس البصري"، وهذه القصيدة غمط حقها ولم تحظ بعناية الباحثين ، ولما لم يكن لهذه القصيدة ذلك الحظ من الدراسة والاهتمام ، اجتهدت فى إلقاء الضوء عليها من خلال دراستها دراسة تحليلية بلاغية؛ ولأن هذه القصيدة جاءت على نفس الوزن والقافية لقصيدة لـ"على بن ابى طالب كرم الله وجهه "يخاطب فيها ابنه الحسين ويعظه، بل أن قصيدة "على بن ابى طالب " كانت هى الملهمة لـ" صالح بن عبد القدوس " لإنشاء قصيدته

(١) ينظر دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود محمد شاكر ص ١٥ مطبعة مدنى بالقاهرة مكتبة الخانكى ط٣ ١٩٩٢م

(٢) ينظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ت محمود محمد شاكر ص ٢٧١، ٢٧٢ مكتبة الخانكي ط٣ ١٩٩٢م.

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري تحقيق خليل مأمون شيما ج ٣ ص ٧٧٤ دار المعرفة بيروت لبنان ط ٣ ٢٠٠٩م

فسوف أقوم بالموازنة بين القصيدتين " الزينبية وقصيدة على بن ابى طالب " التى يعظ فيها ابنه الحسين بإلقاء الضوء على الأبيات المشتركة بينهما فى المعنى، ولذا جعلت عنوان بحثى " دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس وموازنتها بقصيدة على بن أبى طالب "

ولقد اتبعت فى دراستي التحليلية المنهج الذوقى الممزوج بالمعرفة ،وذلك لأن الذوق له دور بارز فى تقويم ألأعمال الأدبية للوقوف على مواطن الجمال والقبح فيها ؛ ولأن القصيدة كلها تتحدث فى موضوع واحد فلم أقسمها إلى موضوعات ؛ولكن قمت بتجزئة القصيدة وكل مجموعة من الأبيات وضحت الألفاظ الغامضة وإبراز معانيها من المعاجم اللغوية ، ثم التحليل البلاغى الذي يوضح جمال الصياغة والأسرار البلاغية وراء استخدام الألفاظ والمعانى المناسبة والتراكيب التى تضفى على الكلام حسنا وبهاء لما لها من اثر فى تثبيت المعنى وتقويته، ووازنت بين ما كان مشترك فى المعنى من أبيات القصيدتين .

وقد بدأت البحث بمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختيارى له ، والمنهج المتبع فى البحث ، ثم التمهيد ويشمل التعريف بالقصيدة الزينبية ولمن تنسب ولمحة موجزة عن نسب صالح بن عبد القدوس، وأيضا عن "على بن أبى طالب " ولمحة موجزة عن الموازنة ثم قمت بتحليل القصيدة ووازنت بين ما كان مشترك فى المعنى من أبيات القصيدتين،وبعد أن انتهيت من تحليل القصيدة كلها تحليلا بلاغيا وانتهيت بذلك من البحث اردفته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها والتى تتضمن السمات التى اتسم بها الشاعر فى هذه القصيدة ، ثم فهرس المصادر والمراجع .

وفى الختام أتوجه إلى الله الكريم المنان ، بديع السموات والأرض ، بعملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والذى أرجو أن يزين لى به صحيفتي يوم الدين ، فأحتسب أجرى عنده ،فتوفيقي منه سبحانه وتعالى، وقبوله لى منة وفضل من كرمه، فهو وحده الكريم ، والهادي إلى الصراط المستقيم .

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه وذريتـــه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

د/ منى عبد الله على

التمهيد

ا - حول القصيدة ولمن تنسب :-

القصيدة الزينبية : هى قصيدة حكمية وزهدية ذات نصائح ومواعظ أخلاقية ،تميزت بسلاسة الأسلوب ووضوح المعانى مع المحافظة على الجزالة والفصاحة فهى تعتبر من أروع الشعر العربى لجزالة عباراتها، ونفاسة حِكَمها ،وفوائد نصائحها ،وقد صيغت بأسلوب أدبي بليغ .

بدأت بمقدمة غزلية جميلة تطرق بعدها الشاعر إلى المواضع الأخلاقية والحكمية ، فرغم أنها بدأت بالمقدمة الغزلية إلا أنها ليست من نوع القصائد الغزلية ،بل أبياتها كلها فى الحكمة والزهد ومحاسبة النفس .

أختلف المؤرخون فى قائل هذه القصيدة ،ولمن تنسب فمنهم من قال أنها تنسب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقد وردت فى ديوانه[١]، ونسبت أيضا لصالح بن عبد القدوس البصري الذى عاش فى العصر العباسى الأول.

وعلى رضى الله عنه سيد البلغاء والفصحاء ،ولكن هناك حقائق تثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس وهذه الحقائق هى

١) أن ياقوت الحموي قد ذكرها فى معجم الأدباء الذي يعد واحدا من المصادر المهمة فى الأدب العربى بما نصه :(صالح بن عبد القدوس بن عبد الله :كان حكيما أديبا فاضلا شاعرا مجيدا ، كان يجلس للوعظ فى مسجد

(١) ينظر : ديوان على بن أبى طالب كرم الله وجهه جمع وترتيب عبد العزيز كرم :ص ٢٦ : ٢٨

البصرة ويقص عليهم ، وله أخبار يطول ذكرها .....، وأشهر شعره قصيدته البائية التى مطلعها : صرمت حبالك بعد وصلك زينب .....)[١]

٢) ورد في البيت الآتي من القصيدة ذكر (أشعب)[٢] الطماع: وإذا طمعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلةٍ فلقد كُسيْ ثوبَ المذلةِ أشعب والمعروف تاريخيا أن (أشعب) لم يظهر على عهد الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بل ظهر في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقد قرأ الكثيرون قصته مع الخليفة المذكور والذى يعرف "أشعب "إثرها بصفة الطمع . وبناءً على هذا جاء ذكره في البيت المذكور بالقصيدة، والذي يبين لنا بأن طمع أشعب هو الذي البسه ثوب المذلة، فنصح الشاعر بعدم الطمع. من هنا يتبين لنا بأن القصيدة نظمت بعد هذه القصة أي: في العصر العباسي الذي عاش ومات فيه صالح عبد القدوس(ت١٦٧هـ).

٣) لقد جمع ما تفرق من ديوان صالح بن عبد القدوس، الباحث عبد الله الخطيب، فأحصى (٣١٧) بيتا. (بغداد: دار البصري ١٩٦٧م) وفيه

---

(١) معجم الأدباء ياقوت الحموي تحقيق د إحسان عباس ج٤ ص ١٤٤٥ ١٤٤٦ دار الغرب الإسلامي ط١ ١٩٩٣م

(٢) ترجمة أشعب :هو أشعب بن جبير المعروف بالطامع ، ويقال : أبن أم حميدة ،ظريف ،من أهل المدينة ،كان مولى لعبد الله بن الزبير ، وقيل : مولى عثمان بن عفان ،وقيل: مولى سعيد بن العاص ، تأدب ، وروى الحديث، وكان صاحب مزاح ،وتطفيل، ومع ذلك كذب عليه ، وهو من المعمرين ؛ فقد روى أنه عاش فى زمن عثمان ،وتوفى سنة ١٥٤هـ ينظر:- ١ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى تحقيق د/ بشار عواد معروف ج ٧ ٥٠١ :٥٠٩ دار الغرب الإسلامى ط١ سنة ٢٠٠١م ٢:- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز الذهبى تحقيق شعيب الأرنؤوط ،محمد العرقسوسي ،ج١ ص ١١٣٨، ١١٣٩ موسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ..

القصيدة المذكورة. كما وردت القصيدة المذكورة في ديوان باسم (ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس (١٦٧هـ.)، حياته وشعره ونثره، وهو من جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب، وأحمد كامل عبد الرؤف، ومراجعة وتعليق إسماعيل عبد الفتاح غراب، وهو من سلسلة شعراء الحكمة، دار البدر، (المنصورة، ٢٠١٢)، الصفحات ٤١-٤٦. ولم يتصدَ باحث أو كاتب لنفي ما ورد في الديوان حول هذه القصيدة ونسبتها إلى صالح بن عبد القدوس.

٤) – وردت في القصيدة هذه الأبيات بحق المرأة:

وتَوَقَّ منْ غَدْرِ النِّساءِ خيانةً	فجميعُهُنَّ مكايدٌ لكَ تُنصَبُ
لا تأمنِ الأنثى حياتَكَ إنها	كالأفعُوانِ يُراغُ منهُ الأنيبُ
لا تأمنِ الأُنثى زمانَكَ كُلَّهُ	يوماً ولوْ حَلَفتْ يميناً تكذِبُ
تُغري بلينِ حديثِها وكلامِها	وإذا سَطَتْ فهيَ الصَّقيلُ الأشطَبُ

فهل لنا أن نصدق بأن الإمام علي (رضي الله عنه) يقول هذا بحق المرأة، وهو القائل: "لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فأن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ". فالإمام هنا وصف المرأة بأنها ريحانة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ عطرة ونقية وطيبة، تسعد وتفرح من ينظر إليها، أما القهرمانة فهي تلك التي تكلف بأمور الخدمة والاشتغال.

٥) لا بد من الإشارة إلى أن للإمام على قصيدة يعظ ولده الحسين (رضي الله عنهما) وربما كانت هي الملهمة لصالح بن عبد القدوس للكتابة على وزنها وقافيتها، ومنها:[١]

(١) ينظر ديوان الإمام على بن أبى طالب ص ٢٢

أَحُسَينُ إنّي واعِــظٌ وَمؤَدِّبٌ فَافهَم فَأَنتَ العاقِلُ المتأدب
وأحفظ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغذوكَ بالآدابِ كَيلا تُعطَب

هذا ما أردت بيانه بصدد (القصيدة الزينبية) علـــى وفـــق مـــا ورد بالمصادر والمراجع التي توافرت لي .

(ب) صالح بن عبد القدوس حياته ونسبه :-

فى بداية العصر العباسى الأول ظهرت شخصيات حاولت التأثير على المجتمع بالبصرة ، وحثه على التقرب إلى الله تعـــالى بالأعمـــال الصـــالحة والخوف من الله تعالى ،ومراقبته فى السر والعلن ،والبعد عن الترف والبذح والعودة إلى بساطة الإسلام والزهد فى ملذات الحياة ، وللقيام بهذه المهمـــة استخدمت هذه الشخصيات الوعظ والحكمة ونظـــم الشـــعر الملـــئ بـــالحكم المحتوية على تجاربهم وتجارب السابقين لهم ،كما صيغت هذه الحكم على معانى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ومن هـــؤلاء الشـــعراء شاعر الحكمة " صالح بن عبد القدوس البصرى " .

مولده

هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى مولى لأسد ، وذكـــر أنه مولى الأزد ، ويرجح أنه فارسى الأصل ممن ولد ونشأ بالبصرة .

هذا ما ورد عن نسبه فلا يعرف الكثير عن نسب صـــالح بـــن عبـــد القدوس وحياته إلا القليل من الأخبار ،فكل ما ذكره المؤرخون والمترجمون يعد نزرا يسيرا وأخباره قليلة مضطربة .

فلم يذكر المؤرخون والمترجمون سنة مولده وطريقة نشأته ، ولكن يتضح من خلال بعض الأبيات التى نظمها أنه جاوز السبعين سنة فقد قال:(١)

بلوت أمور الناس سبعين حجة وجربت صروف الدهر فى العسر واليسر

ولكن لا يعرف تحديدا متى قال هذا البيت حتى نعرف سنة مولده، ويرجح أنه ولد عام ٧٧هـ/٦٩٦م فى زمن عبد الملك بن مروان (٢) وقد أهمل المؤرخون كل ما يتعلق بحياته وعائلته ؛إذ لا يوجد له ترجمة لدى معاصريه ،فلم تدون أخباره فى وقتها ، وإنما دونت بعد وفاته بفترة طويلة لدرجة أن الأخبار تضاربت حتى فى الخليفة الذى قتله ، وكان أول خبر ورد عنه بعد وفاته بما يقرب من ثمانية وتسعين عاما ، حيث أورد الجاحظ المتوفى(٢٥٥هـ)ما نصه :(لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى (٣) كان مفرقا فى أشعار كثيرة ،لصارت تلك الأشعار أرفع مما هى عليه بطبقات، ولصار شعرهما من نوادر سائرة فى الآفاق ،ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ،ولم تجر مجرى النوادر ،ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع)(٤)

(١) ينظر صالح بن عبد القدوس البصري تأليف وتحقيق عبد الله الخطيب ص ٦٧ م.

(٢) ينظر : صالح بن عبد القدوس البصري تأليف وتحقيق عبد الله الخطيب ص ٦٨

(٣) هو سابق بن عبد الله البربرى ،أبو سعيد ويقال أبو أمية ،ويقال أبو المهاجر ، شاعر من الزهاد له كلام فى الحكمة من موالى بنى أمية،والبربرى لقب له ولم يكن من البربر سكن الرقة وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فينشده من مواعظه توفى عام٧١٨ انظر : ترجمته فى تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق محب الدين أبى سعيد العمروي ج ٢٠ ص ٣ ترجمة رقم ٢٣٥٨ دار الفكر العربى سنة١٩٩٥م

(٤) ينظر البيان والتبين للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ج١ ص ٢٠٦

وكذلك ابن المعتز (ت٢٦٩)يدلى برأيه فى صالح بن عبد القدوس فيقول عنه : (أما الرجل – صالح بن عبد القدوس – فله فى الزهد فى الدنيا والترغيب فى الجنة ، والحث على طاعة الله عز وجل ، والأمر بمحاسن الأخلاق ، وذكر الموت والقبر ما ليس لأحد ،وكان شعره كله أمثالا وحكما)[١]

وقد عاش صالح بن عبد القدوس فى البصرة فى زمن راج فيه الشعر والأدب ،وكثر فيه رواته وناقلوه، وأصبح وسيلة للشهرة والتكسب ، وتنوعت أغراضه وفنونه، وأصبح لكل غرض أهله ومتذوقوه وناقدوه، فهو زمن ثورة الشعر وازدهاره وقوته.

حياته الأسرية:-

أما عن حياته الأسرية فيبدو أنه كان متزوجا وله أولاد ،فقد ذكر الذهبى ،وفاة ابن له فى حياته، وحزنه عليه [٢]،ولا يعرف أكثر من ذلك عن حياته الأسرية .

وفاته[٣] واتهامه بالزندقة:-

ذكر أغلب المؤرخين أن صالح بن عبد القدوس قتل سنة (١٦٧هـ/-٧٨٣م) وذلك فى عهد الخليفة المهدي العباسي ، فى الفترة التى جد فيها

(١) ينظر طبقات الشعراء ص ٩٠، ٩١

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء ج١١ ص ١٧٤

(٣) ينظر :-تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٠٠ ،و معجم الأدباء ج١٢ ص ٧ ، و تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣

فى تعقب الزنادقة والتنكيل بهم، وقد قتله الخليفة المهدي لاتهامه إياه بالزندقة (١).

فقد زخر العصر العباسى الأول بكافة مظاهر الحضارة والغنى والترف ،وأصبحت الحياة فى بعض جوانبها تدعوا إلى الاستمتاع ، فلم يملك البعض إلا الانحدار والانغماس طلبا للذة كانت متاحة فى تلك الفترة ، فانساقوا وراء الرغبات البشرية فوقعوا فى المحظورات وانزلقوا فى السيئات ، ولا شك أن طبيعة الحياة فى ذلك الوقت كانت تعين على ذلك الإسراف ، فظهر من ضمن ما ظهر شعر المجون الذى يعبر عن فساد الأخلاق وانحلال الروابط الاجتماعية ،وساعد على انتشاره ظهور المذاهب الفلسفية وتسلط الشك على النفوس ، ولكن هناك فئة فاقت وتنبهت إلى سوء ما يوجد فى نفوسهم وفى المجتمع ،فأصلحت من نفسها واستقامت وانقطعوا عن المفاسد ورجعوا إلى صوابهم وامتنعوا عن طريق الضياع

---

(١) تعريف الزندقة :كلمة معربة من الفارسية فهى ليست من كلام العرب ، وتستعمل بمعنى الإلحاد ، و"الزنديق " القائل ببقاء الدهر و"الزنادقة " الذين يبتعدون عن تعاليم الإسلام وعقائده باتباع أنواع من التعاليم والمباديء الفاسدة التى تبيح المحرمات وتعبث بالآداب الاجتماعية و"للزندقة" عدة معان تختلف باختلاف التاريخ الذي ظهرت ومرت به ،فقد كان العرب يطلقون لفظ "الزنديق" على من ينفي وجود الله سبحانه وتعالى أو يقول بوجود شريك له ،وقيل أن لفظ "زنديق" يطلق على من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ،وفى أول الأمر كان يطلق لفظ "الزنديق "على كل من يتأثر بالفرس من عاداتهم ويسرف فى العبث والمجون وفى العصر العباسى كان يطلق "الزنديق" على كل من ينكر الألوهية ويرجع تاريخ "الزندقة "إلى أواخر العصر الأموي ،وانتشرت وقويت فى العصر العباسي وتوسع معناها فوصف بالزنديق كل من خرج بتفكيره عن الأسس السلفية .(ينظر صالح بن عبد القدوس البصري من ص ٣١: ص ٥٣ بتصرف .

والضلال ،فأخرجوا فنا جديدا من الشعر هو شعر الزهد [١] ، ولاشك أن كل هذا كان له تأثير عميق فى نفس" صالح بن عبد القدوس "،فقد عاش فى تلك الفترة ،وخاض فى صدر شبابه فيما خاض فيه الناس ،ولكنه تاب بعد ذلك وأناب ومال إلى شعر الزهد والحكمة لإيقاظ الناس من غفلتهم، وقد نقل لهم تجاربه فى صورة شعرية مليئة بالحكمة والوعظ، وفق ما مر به من تجارب مدعما تلك الحكمة بمعانى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأساليبهما ،ولكننا نرى أنه أُخذ بما سلف عنه وعُوقب عليه بالقتل، فقتله الخليفة المهدى ،فقد أورد المؤرخ اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) خبرا عن مقتل صالح بن عبد القدوس فيقول: (عندما ألح المهدى فى طلب الزنادقة ،وتعقبهم والتنكيل بهم وقتل خلقا كثيرا حتى أنشأ ديوانا خاصا لتعقب الزنادقة والفتك بهم ، .وأتى بصالح بن عبد القدوس، وأمر بإحضاره إليه وعندما مثل أمامه خاطبه فأعجب بغزارة علمه وأدبه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته، فأمر بتخلية سبيله ،فلما ولى رده وقال له ألست القائل :-

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه .

قال: بلى يا أمير المؤمنين ، قال : فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك فى نفسك ثم أمر بقتله وصلب على الجسر .

وهذا البيت الذى تشير أكثر الروايات إلى أنه كان باعثا لقتل "صالح بن عبد القدوس" لا نجد فيه ما يوجب لقتله ،فالشاعر يصف طبيعة النفس البشرية التى تظل على ما جلبت عليه من الصفات ،وهذا لا يوجب قتله ، ثم

(١) ينظر أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم تأليف مارون عبود ص ١٤٩ مؤسسة هنداوى للتعليم والنشر سنة ٢٠١٤م

إن الرواية تشير إلى أن الخليفة استتابه فتاب ،وتعاليم ديننا الحنيف تدعوا إلى التسامح والعفو ،وقدوتنا فى ذلك نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما عفا عن كعب بن زهير لما جاءه تائبا بعد ما هجاه ،بل أنه صلى الله عليه وسلم آمنه وخلع عليه بردته حينما قال :[١]

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عنى الأقاويل.

معتبرا إنكاره توبة له .

والغريب أن "صالح بن عبد القدوس "لم يتهم بالزندقة إلا وهو شيخ كبير قد بلغ التسعين من عمره ، وكان قد اعتبره المجتمع البصرى من الحكماء ،وكان يجتمع الناس إليه فى المسجد يقص عليهم ويعظهم ،ولم يعثر عنه أن الناس قد هجروه أو قاطعوه ،فالمتهم فى دينه فى تلك الفترة كان يقاطع من الناس ،وهذا ما لم يحدث مع صالح بن عبد القدوس .

على بن أبى طالب مولده ونسبه :-[٢]

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد كناه النبي عليه السلام بأبي ترابٍ، ولد قبل الهجرة النبوية الشريفة بعشر سنوات، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين ، ومن العلماء، والقضاة المسلمين، وهو أصغر أبناء أبو طالب،

---

(١) ينظر ديوان كعب بن زهير تحقيق الأستاذ / على قاعور ص ٦٥ دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير من ص ٨٧٢ : ٨٨٧ بتصرف دار ابن حزم بيروت ط١ سنة ٢٠١٢م

وتكفل الرسول – صلى الله عليه وسلم – برعايته وهو صغير، ودعاه الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الإسلام، فأسلم عليٍ – رضي الله عنه –، وتزوّج من ابنته فاطمة رضي الله عنها، ووالد كلٍ من الحسن والحسين سبطيّ الرسول وريحانتيّه وسيدا شباب أهل الجنة، وأمه هي فاطمة بنت أسد، وُلد في مكة المكرمة سنة ٢٣ قبل الهجرة الموافق لسنة ٥٩٩م.

أسلم علي بن أبي طالب عليٌّ رضي الله عنه وهو صبيٌّ صغيرٌ حيث كان يقيم مع النبي عليه السلام في بيته؛ فهو بذلك أول من أسلم من الصبيان. وهو ثالث من أسلم وآمن بدعوة الرسول بعد كلٍ من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد وأبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنهم أجمعين

وشارك مع النبي– صلى الله عله وسلم – فى غزواته فشهد بدرا ، وأحدا ، وجميع الغزوات إلا تبوك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله ، وأبلى فى جمع الغزوات بلاء حسنا ،وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء فى مواطن كثيرة ففى غزوة أحد لما قتل مصعب بن عمير وكان اللواء بيده ،دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

بايع كغيره من الصحابة الخلفاء الثلاث أبو بكرٍ، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، وجاهد معهم في غزواتهم وحروبهم لنصرة الإسلام والمسلمين ، بايع المسلمون عليًّا بالخلافة سنة ٣٥ للهجرة الموافق ٦٥٦م ليكون بذلك رابع الخلفاء الراشدين، وفي عهده نقل مقر الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، واستمرت مدة خمس سنواتٍ وثلاثة أشهرٍ.

صفات علي بن أبي طالب:- عُرف علي بن أبي طالب بالعديد من الصفات منها: البراعة والشدة والثبات في القتال والفصاحة وطلاقة اللسان، والحكمة، و الزُّهد و العدل والإنصاف، و التقوى والورع، والأمانة والحرص الشديد على مصلحة المسلمين، كما اشتهر كرم الله وجهه بالفروسية والشجاعة والإقدام ،ومناقبه عظيمة ،وآخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ،فقد آخى النبي صلي الله عليه وسلم بين المهاجرين ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة ،وقال لعلى فى كل واحدة منهما "أنت أخى فى الدنيا والآخرة" ،وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة خلف عليا يخرج إليه بأهله ،وأمره أن يؤدى عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه ،وما كان يؤتمن عليه من مال ،فأدى على- رضى الله عنه- أمانته كلها ،وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقد أحاط المشركون بالدار، وقال :" اتشح ببردي الحضرمى الأخضر ،فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى " ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام :أنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما :أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب ؟آخيت بينه وبين نبي محمد ،فبات على فراشه يفديه بنفسه ،ويؤثره بالحياة ،اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأس على ،وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادى : بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله عز وجل به الملائكة ،فأنزل الله عز وجل على رسوله وهو متوجه إلى المدينة فى شأن على قوله تعالى " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله" "(البقرة ٢٠٧)

استشهاد على رضى اللّه عنه:-[١]

ذكرت كتب التاريخ قصة استشهاد على بن أبى طالب رضى الله عنه، حيث اجتمع ثلاثة أشخاص كان من بينهم عبد الرحمن بن ملجم الخارجى وتعاهدوا فيما بينهم على قتل معاوية وعلى وعمرو بن العاص فخرج عبد الرحمن بن ملجم إلى الكوفة ،وبيت نية قتل على وعاونه فى ذلك رجل يقال له وردان ،وآخر يسمي شبيب ،فجاء الثلاثة حاملين سيوفهم ،فكمنوا لعلى عند السدة التى يخرج منها على فلما خرج ينادى للصلاة ،ثار عليه شبيب فضربه فوقع ،فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ،ولما احتضر على رضى الله عنه جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ،لا يتلفظ بغيرها ،وقد قيل إن آخر ما تكلم به "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" وكان ذلك فى يوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة٤٠ هجرية ١٦٦م عن عمر ناهز السادسة والأربعين .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص ٣٢٧ ،.٣٢٨ دار المعارف ١٩٩٢م

الـمـوازنـــة

لقد فطر الله تعالي النفس البشرية علي الميل إلي الحسن واستجهان القبيح ، وبيان ميزات وعيوب الأشياء ، لذلك فهي لا تقنع بالنظرة الطبيعية إلي الأشياء ، ولكنها تتجاوزها إلي معرفة الباطن والوقوف علي أســراره ، وسبيلها إلي ذلك هو طريق المفاضلة والموازنة بين الأشــياء المتشــابهة وتقليبها علي كل الوجوه حتى تتبين لها الحقيقة ناصعة فتقبلها راضية.

لقد عرف بعض الباحثين الموازنة الأدبيــة بقولــه (هــي دراســة العلاقات المشابهة وأوجه الخلاف بين نصين من النصوص ، أو أديبين من الأدباء أو عصرين من العصور دراسة تستهدف بيان أصــالة كــل منهمــا وخصائصه الفنية والنفسية طبقا لمقاييس النقد الأدبي وقوانينه) [١]

فالموازنة بين الأشياء والآراء أصل من أصول البحث العلمي ، ومن الطبيعي أن تدخل باب الدراسة الأدبية نقداً وتاريخاً ، يقول الــدكتور زكــي مبارك (وليست الموازنة إلا ضرباً من ضروب النقد ، يتميز بها الردئ من الجيد ، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان)[٢]

والموازنات الشعرية ترجع إلي عصر قديم في الشعر العربي ، ولعل سوق عكاظ كان أول تلك الموازنات ، ويلخص الدكتور \ أحمد الشايب نشأة الموازنات بقوله: (وقد ظهرت الموازنة مبكرة فــي تــاريخ الأدب العربــي

---

(١) ينظر : المتبني بين ناقديه في القديم والحديث د / عبد الرحمن شعيب صـــ ١٥٤ – دار المعارف سنة ١٩٦٤ م .

(٢) ينظر : الموازنة بين الشعراء : زكي مبارك صـــ ١ – مطبعة مصطفي البابي الحلبي ط ٢ سنة ١٩٣٦ م

تسايره علي مر العصور إلي اليوم ، وستبقي دائماً من وسائله النقدية والتاريخية، فإذا صح ما روي من قصة أم جندب وموازنتها بين امرئ القيس وعلقمة في وصف الفرس ومن أن النابغة الذبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ ، دلنا ذلك على أن الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ الجاهلية ..... ، ثم يقول : وفي صدر الإسلام كانت الموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب ، وكانت بين شعراء الرسول وخطبائه من ناحية أخري، وكان العصر الأموي زاخراً بالموازنة بين الفحول والغزليين والسياسيين من الشعراء ، وبين الخطباء والأدباء جميعاً فخلف لنا ثروة نقدية قيمة علي رغم تأثرها بالعصبيات والأهواء والأمزجة .

أما في العصر العباسي فقد بدأ هذا الفن النقدي نشيطاً بين بشار بن برد ومروان ابن أبي حفصة، وبين أبي تمام والبحتري وبين المتنبي وخصومه .[١]

ومما سبق نري أن هذا الفن النقدي مرتبط تمام الارتباط بجزء من تراثنا الخالد ، فهو يستهدف بيان أصالة وخصائص هذا التراث .

وقد رأيت أن أدعم بحثي بعقد موازنة بين القصيدة الزينبية ل "صالح بن عبد القدوس " وأخري تشاركها فى الوزن والقافية والغرض ؛ ولأن هذه القصيدة – الزينبية – جاءت على نفس الوزن والقافية لقصيدة لـ"على بن ابى طالب كرم الله وجهه"يخاطب فيها ابنه الحسين ويعظه،بل أن قصيدة "على بن ابى طالب " كانت هى الملهمة لـ" صالح بن عبد القدوس " لإنشاء

(١) ينظر : أصول النقد الأدبي : د / أحمد الشايب صـ ٢٨٠ ، ٢٨١ ط ٨ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٣

قصيدته فسوف أقوم بالموازنة بين القصيدتين " الزينبية وقصيدة على بن ابى طالب " التى يعظ فيها ابنه الحسين بإلقاء الضوء على الأبيات المشتركة بينهما فى المعنى.

ولذا فسوف أكتفي من قصيدة "على بن أبى طالب " بذكر الأبيات التى تشترك مع قصيدة "صالح بن عبد القدوس" فى المعنى فقط .

من قصيدة " على بن أبى طالب "(وصية والد)(١):

أحسين إنى واعظ ومؤدبٌ ∴ فافهم فأنت العاقل المُتّأدبُ

فاحفظ وصَية والدٍ مُتّحّنن ∴ يغْذوكّ بالآداب كّيْلا تعْطّبُ

أبنى إن الرزق مكفول به ∴ فعليك بالإجمال فيما تطلب

لا تجعلن المال كسبك مفردا ∴ وتقى إلهك فاجعلن ما تكسب

كفل الإله برزق كل بريةٍ ∴ والمال عارية تجىء وتذهب

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّديقِ وكُنْ له ∴ كأبٍ على أوْلادِه يَتَحَدَّبُ

وَاجْعَلْ صَدِيقُكَ مَنْ إذا آخَيتَهُ ∴ حَفِظَ الإخَاءَ وكانَ دُونَكَ يَضْربُ

وَاطْلُبْهُم طَلَبَ المَرِيضِ شِفَاءَهُ ∴ وَدَعِ الكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يَصْحَبُ

واحْفَظْ صَدِيقُكَ فى المَواطِنِ كُلهَا ∴ وعَلَيْكَ بالمَرءِ الذى لا يَكْذِبُ

واقْلُ الكَذُوبَ وَقُرْبَه وَجِوَارَهُ ∴ إنَّ الكّذُوبَ مُلَطَّخٌ مَنْ يَصْحَبُ

---

(١) القصيدة منسوبة إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه وهى تحتوى على نصائح ثمينة ، وقد وردت فى الديوان على ص ٢٢ ،و٢٣

يُعْطِيكَ مَا فَوقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ ∴ ويَروغُ منكَ كما يروغُ الثّعلبُ

وَاحْذَرْ ذَوِي المَلَقِ اللَّئَامَ فإنَّهُمْ ∴ فى النَّائِبَاتِ عَلَيكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ

يَسْعُونَ حَولَ المَرءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ∴ وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُوا

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إن قَبِلْتَ نَصِيحَتِى ∴ والنُصْحُ أَغلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

القصيدة الزينبية[1]

صَرَمتْ حِبالَكَ بعد وَصلكَ زينبُ ∴ والدَّهرُ فيهِ تَغيّرٌ وتَقلُّبُ

نَشَرتْ ذوائِبَها التي تَزهو بها ∴ سُوداً ورأسُك كالثّغامَةِ أشيَبُ

واستنفرتْ لمّا رأتْكَ وطالما ∴ كانتْ تحنُّ إلى لقاكَ وتَرغبْ

وكذاكَ وصلُ الغانياتِ فإنه ∴ آل ببلقَعَةٍ وبَرْقٌ خُلّبُ

فدَعِ الصِّبا فلقدْ عداكَ زمانُهُ ∴ وازهَدْ فعُمرُكَ مرَّ منهُ الأطيَبُ

ذهبَ الشبابُ فما له منْ عودةٍ ∴ وأتَى المشيبُ فأينَ منهُ المَهربُ

دَعْ عنكَ ما قد كانَ في زمنِ الصِّبا ∴ واذكُر ذنوبَكَ وابكِها يا مُذنبُ

واذكرْ مناقشةَ الحسابِ فإنه ∴ لا بَدَّ يُحصي ما جنيتَ ويَكتُبُ

لم ينسَهُ المَلَكانِ حينَ نسيتَهُ ∴ بل أثبتاهُ وأنتَ لاهٍ تلعبُ

---

(١) ينظر :ديوان الشاعر فى كتاب صالح بن عبد القدوس البصرى ص ١٢٣: ١١٢٦،و تنسب القصيدة أيضا إلى على بن إبى طالب رضى الله عنه مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظ الرواية :ينظر ديوان على بن أبى طالب جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ص ٢٦: ٢٨ط ١ سنة ١٩٨٨م

والـــرُّوحُ فـــيكَ وديـــعةٌ أودعتَهـــا ∴ ستَـــردُّها بـــالرغمِ منـــكَ وتُســـلَبُ

وغـــرورُ دنـــياكَ الـــتي تســـعى لهـــا ∴ دارٌ حـــقـــيقتُها مـــتـــاعٌ يـــذهبُ

والليـــلُ فـــاعلمْ والنـــهارُ كلاهمـــا ∴ أنفـــاسُنا فيـــها تُعـــدُّ وتُحســـبُ

وجـــميعُ مـــا خـــلَّفتَـــهُ وجمعـــتهُ ∴ حـــقـــاً يَقيـــناً بعـــدَ موتِـــكَ يُنهـــبُ

تَـــبَّاً لـــدارٍ لا يـــدومُ نعيمُـــها ∴ ومَشـــيـــدُها عمّـــا قليـــلٍ يَخـــربُ

فـاسمـعْ هُـديتَ نصـيحةً أولاكَهـا ∴ بَـــرٌّ نَـــصوحٌ للأنـــامِ مُـــجرِّبُ

صَـــحِبَ الزَّمـــانَ وأهلَـــه مُستبصـــراً ∴ ورأى الأمـــورَ بمـــا تـــؤوبُ وتَعقُـــبُ

لا تـــأمَـــنِ الـــدَّهرَ الخَـــؤُونَ فـــإنهُ ∴ مـــا زالَ قِـــدْماً للرِّجـــالِ يُـــؤدِّبُ

وعـــواقِبُ الأيـــامِ فـــي غَصَّاتِهـــا ∴ مَضَـــضٌ يُـــذَلُّ لـــهُ الأعـــزُّ الأنْجَـــبْ

فعـــليكَ تـــقوى اللهِ فـــالزمْها تفـــزْ ∴ إنّ التّـــقَى هـــوَ البَهـــيُّ الأهيَـــبُ

واعمـــلْ بطاعتِـــهِ تنـــلْ منـــهُ الرِّضـــا ∴ إن المطـــيعَ لـــهُ لديـــهِ مُقـــرَّبُ

واقنـــعْ ففـــي بعـــضِ القناعـــةِ راحـــةٌ ∴ واليـــأسُ ممّـــا فـــاتَ فهـــوَ المَطْلـــبُ

فـــإذا طَمِـــعتَ كُسِـــيتَ ثـــوبَ مذلَّـــةٍ ∴ فلقـــدْ كُســـيَ ثـــوبَ المَذلَّـــةِ أشـــعبُ

وتَـــوَقَّ مـــنْ غَـــدْرِ النِّســـاءِ خيانـــةً ∴ فجمـــيعُهُنَّ مكايـــدٌ لـــكَ تُـــنصَبُ

لا تـــأمنِ الأنـــثى حيـــاتَكَ إنـــها ∴ كـالأفعُـــوانِ يُـــراغُ منـــهُ الأنيـــبُ

لا تـــأمـــنِ الأُنثـــى زمـــانَكَ كُـــلَّهُ ∴ يومـــاً ولـــوْ حَلَفـــتْ يمينـــاً تكـــذِبُ

تُـــغري بـــلينِ حـــديثِها وكـــلامِها ∴ وإذا سَـــطَتْ فهـــيَ الصَّـــقيلُ الأشـــطَبُ

وابـــدأْ عَـــدوَّكَ بالتـــحيّةِ ولـــتَكُنْ ∴ منـــهُ زمانَـــكَ خـــائفاً تـترقَّـــبُ

واحـــــذرهُ إن لاقيتَـــــهُ مُتَبَـــسِّماً ∴ فالليـــثُ يبـــدو نابُـــهُ إذْ يغْضَـــبُ

إنَّ العـــــدوُّ وإنْ تـقـــادَمَ عـــهدُهُ ∴ فالحـــقدُ بـــاقٍ في الصُّـــدورِ مُغيَّـــبُ

وإذا الصَّـــديقُ لقيـــتَهُ مُـــتملِّقاً ∴ فهـــوَ العـــدوُّ وحقُّـــهُ يُـــتجنَّبُ

لا خيـــرَ فـــي ودِّ امـــريءٍ مُتملِّـــقٍ ∴ حُلـــوِ اللســـانِ وقلبـــهُ يتلهَّـــبُ

يـــلقاكَ يـــحلفُ أنـــه بـــكَ واثـــقٌ ∴ وإذا تـــوارَى عنـــكَ فهـــوَ العقـــرَبُ

يُعـــطيكَ مـــن طَـــرَفِ اللِّســـانِ حـــلاوةً ∴ ويَـــروغُ منـــكَ كمـــا يـــروغُ الثَّعلـــبُ

وَصِـــلِ الـــكرامَ وإنْ رمـــوكَ بجفـــوةٍ ∴ فالصـــفحُ عـــنهمْ بالتَّجـــاوزِ أصـــوَبُ

واخـــترْ قرينَـــكَ واصـــطنعهُ تفـــاخراً ∴ إنَّ القـــرينَ إلى المُقـــارنِ يُـــنسبُ

إنَّ الغـــنيَ مـــن الرجـــالِ مُـــكرَّمٌ ∴ وتـــراهُ يُـــرجى مـــا لديـــهِ ويُرهـــبُ

ويُـــبَشُّ بـــالتَّرحيبِ عنـــدَ قدومِـــهِ ∴ ويُقـــامُ عنـــدَ سلامـــهِ ويُقـــرَّبُ

والفـــقرُ شيـــنٌ للرِّجـــالِ فإنـــه ∴ حقـــاً يهـــونُ بـــه الشَّـــريفُ الأنســـبُ

واخفـــضْ جناحَـــكَ للأقـــاربِ كُلِّهـــمْ ∴ بتـــذلُّلٍ واسمـــحْ لهـــمْ إن أذنبـــوا

ودعِ الكَـــذوبَ فـــلا يكُـــنْ لـــكَ صـــاحباً ∴ إنَّ الـــكذوبَ يشـــينُ حُـــراً يَصـــحبُ

وزنِ الكـــلامَ إذا نطقـــتَ ولا تـــكنْ ∴ ثـــرثارةً فـــي كـــلِّ نـــادٍ تخطُـــبُ

واحفـــظْ لســـانَكَ واحـــترزْ مـــن لفظِـــهِ ∴ فـــالمرءُ يَـــسلَمُ باللســـانِ ويُعطَـــبُ

والسِّـــرُّ فـــاكتمهُ ولا تـــنطُقْ بـــهِ ∴ إنَّ الزجاجـــةَ كســـرُها لا يُشـــعَبُ

وكـــذاكَ ســـرُّ المـــرءِ إنْ لـــمْ يُطـــوهِ ∴ نـــشرتْهُ ألســـنةٌ تـــزيدُ وتكـــذِبُ

لا تحرِصَـــنْ فـــالحِرصُ لـــيسَ بزائـــدٍ ∴ في الـــرِّزقِ بـــل يشـــقى الحـــريصُ ويتعـــبُ

ويظـــلُّ ملهوفـــاً يـــرومُ تحـــيّلاً ∴ والـــرِّزقُ لـــيسَ بحيلـــةٍ يُستجلـــَبُ

كـــم عـــاجزٍ في النـــاسِ يـــأتي رزقُـــهُ ∴ رغَـــداً ويُـــحرَمُ كَـــيِّسٌ ويُـــخيَّبُ

وارعَ الأمانـــةَ ، والخيانـــةَ فـــاجتنبْ ∴ واعـــدِلْ ولا تظلـــمْ يَطـــبْ لـــكَ مكسَـــبُ

وإذا أصـــابكَ نكبـــةٌ فاصـــبرْ لهـــا ∴ مـــن ذا رأيـــتَ مســـلَّماً لا يُنْكـــبُ

وإذا رُميـــتَ مـــن الزمـــانِ بـــريبةٍ ∴ أو نالـــكَ الأمـــرُ الأشـــقُّ الأصـــعبُ

فاضـــرعْ لربّـــك إنـــه أدنـــى لـــمنْ ∴ يـــدعوهُ مـــن حبـــلِ الوريـــدِ وأقـــرب

كُـــنْ مـــا اســـتطعتَ عـــن الأنـــامِ بمعـــزِلٍ ∴ إنَّ الكـــثيرَ مـــن الـــوَرَى لا يُصـــحبُ

واحـــذرْ مُصاحبـــةَ اللئيـــم فإنّـــهُ ∴ يُعـــدي كمـــا يُعـــدي الصـــحيحَ الأجـــربُ

واحـــذرْ مـــن المظلـــومِ سَـــهماً صـــائباً ∴ واعلـــمْ بـــأنَّ دعـــاءَهُ لا يُحجَـــبُ

وإذا رأيـــتَ الـــرِّزقَ عَـــزَّ ببلـــدةٍ ∴ وخشـــيتَ فيهـــا أن يضـــيقَ المذهـــبُ

فـــارحلْ فـــأرضُ اللهِ واســـعةَ الفَضَـــا ∴ طـــولاً وعَرضـــاً شـــرقُها والمغـــرِبُ

فلقـــدْ نصـــحتُكَ إنْ قبلـــتَ نصـــيحتي ∴ فـــالنُّصحُ أغلـــى مـــا يُبـــاعُ ويُوهَـــبُ

جرت عادة الشعراء القدامى أن يبدؤا قصائدهم بالغزل ،أو التحسر على ما فات من زمن الصبا ، فمنهم من تغزل بذكر ليلى وسلمى وهند وزينب وسعاد ،وما أشبه ذلك من نوادر الشعراء ،فهم يتغزلون بأى امراة يخترعونها ولو لم يكن الشاعر عاشقا ، وقد علل ابن قتيبة استهلال الشاعر

الجاهلى بالغزل ففال : (لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فلا أحد يخلو من أن يكون متعلق منه بسبب وضارب فيه بسهم) [١]

ومعلوم أن أشهر قصيدة قيلت فى مدح النبى –صلى الله علبه وسلم –هى قصيدة كعب ابن زهير [٢]، والتى بدأت بالغزل [٣] وكان فيها من الأشعار كل بديع ،وسمعها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم ينكر منها شىء ، بل خلع بردته وأهداها لكعب بن زهير إعجابا بهذه القصيدة ؛ ولذا سميت بالبردة .

والقصيدة التى بين أيدينا تعد من أعظم وأنفس المدائح والمواعظ وهى من القصائد الحكمية التى تحض على حسن السلوك والتمسك بالآداب الرفيعة، وقد بدأها الشاعر – كما كان يفعل شعراء الجاهلية – بالبكاء على أطلال محبوبته "*زينب*" وفراقها كما نهج أيضا نهج الشعراء العرب فى استخدام التجريد [٤] حيث أنه جرد من نفسه شخصا آخر ووجه إليه الخطاب

---

(١) ينظر : الشعر والشعراء تحقيق\ أ حمد محمد شاكر–ج١ ص ٢٠ دار الحديث القاهرة٢٠٠٣ م

(٢) كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى ،اسلم فى السنة الثانية من الهجرة ،كان أحد الفحول المجودين فى الشعر امتد عمره حتى زمن معاوية فكانت وفاته سنة ٢٤ه ينظر الأغاني لأبى فرج الأصفهانى تحقيق سمير جابر، ج٥ ص١٤٢ دار الفكر العربى ط٢ بيروت لبنان.

(٣) (بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يغد مكبول) ينظر ديوان كعب بن زهير ص٨٣

(٤) التجريد هو :هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك الأمر المنتزع منه .ينظر :الإيضاح للخطيب القزوينى تحقيق عبد المنعم خفاجى /٦/ ٥٥ دار الجيل بيروت ط ط٣

كما فعل غيره من الشعراء القدماء ، والتجريد من الألوان البديعية التى تعمل على إثارة الخيال ، وتنشيط الأذهان لما فيه من التصوير والتخييل يقول عنه ابن جنى : (أعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ، وضرب من العربية غريب) [١] والتجريد فيه أيضا جذب انتباه المتلقى كما أن فيه المبالغة فى أداء المعنى الذى أراده الشاعر، وقد بدأ قصيدته بالغزل مجردا من نفسه شخصا آخر وخاطبه فائلا :

١- صَرَمتْ[٢] حِبالَكَ بعد وَصلكَ زينبُ ... والدَّهرُ فيهِ تَغيُّرٌ وتَقَلُّبُ

٢- نَشَرتْ ذوائِبَها [٣] التي تَزهو بها ... سُوداً ورأسُك كالثُّغامَةِ[٤] أشيَبُ

٣- واستنفرتْ لمّا رأتْكَ وطالما ... كانتْ تحنُّ إلى لقاكَ وتَرغبْ

٤-وكذاكَ وصلُ الغانياتِ فإنه ... آل ببلقَعَةٍ[٥] وبَرْقٌ خُلَّبُ[٦]

بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن الفراق والهجر من "زينب" فقال " صَرَمتْ حِبالَكَ بعد وَصلكَ زينبُ" فعبر عن الفراق والقطيعة بقوله :

---

(١) ينظر : الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار ج٢ ص ٤٧٣ دار الكتاب العربى بيروت .

(٢) صرمت : الصرم القطيعة ، وتصريم الحبال :تقطيعها وشدد للكثرة) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة صرم دار المعارف

(٣) ذوائِبَها: الذوائب جمع ذؤابة ،وهى : الشعر المضفور من شعر الرأس : ينظر اللسان مادة ذؤب .

(٤) الثغامة : نبات أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب به ينظر اللسان مادة ثغم .

(٥) ببلقعة : البلقع : مكان خال ، والبلاقع : التى لا شيء فيها ،وهى خالية من كل خير ، ينظر اللسان مادة بلقع .

(٦) البرق واحد بروق السحاب ،يقال برق الخلب وبرق خلب بالإضافة فيهما ،وبرق خلب بالصفة ، وهو الذى ليس فيه مطر . ينظر :اللسان مادة خلب

"صرمت حبالك" أى قطعت علاقات الوصال واللقاء بيننا، وبدأ البيت بالفعل الماضى "صرمت" للدلالة على تحقيق حدوث الفعل ، وكلمة "حبالك " أى مقابلتك وهى كناية عن الوصل الذي كان بينهما قبل ذلك ،والطباق بين "صرمت" و"وصلك" أكد المعنى الذى أراده الشاعر من القطيعة بعد الوصال والفراق بعد اللقاء، وهى استعارة تصريحية حيث شبه تفكك الحبال وتصرمها بتصرم علاقته بحبيبته ، ثم حذف المشبه وأبقى على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ،وقد نسب تقلب محبوبته إلى طبيعة الزمن فقال "الدهر فيه تصرم و تقلب" أى هى متقلبة كتقلب الدهر ، فشبه فراقها وقطيعتها له بعد وصله، وتقلب حالها معه بتقلب الزمان وأحوال الدهر ،فدوام الحال من المحال، وفى ذلك تعريض بالدنيا وأنها كمحبوبته. والتشديد فى "تصرم " يدل على الكثرة

وأرى أن الشاعر هنا قد تأثر بقول الله تعالى :"كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" (الرحمن ٢٩)

ثم جاء بالبيت الثانى ليبين السبب فى تصرمها وفراقها له ، وهو أنها نشرت غدائر شعر رأسها فرأتها سودا مما يدل على أنها مازالت شابة بينما هو شيخ طاعن فى السن ؛ ولأن المحبة تحصل بمعاينة ذات المحبوب أو صفته أو سماع صوته وقيل إن أعظمها هو رؤية ذات المحبوب ، وأعظم ما فى رؤية المحبوب هو سواد شعره ؛لأن له تأثيرا جاذبا فى المحبة ؛لذلك بَينَ الشاعر أن محبوبته نفرت منه بعد الوصال والوداد واستبدلت بالقرب الفراق والبعاد لما رأته شيخا كبير السن رقيق العظم فابتعدت عنه وهى التى كانت تحن إليه وهو فى حال الشباب ومتصف بصفات الكمال ،ثم ذكر الشاعر الغانيات وقطع وصلهن فقال " وكذاك وصل الغانيات " أى لما علمت

الغانيات بأن زينب قطعت وصلها أطمعنه فى الوصل ثم قطعن أيضا [١] ،فهذا هو الحال مع الغانيات الحسناوات ،فإن طلب وصل الغانيات – وأنت أشيب – كطلب الماء من السراب ، وانتظار المطر من البرق الخلب .

والشاعر فى تعبيره عن الأبيات بهذا المعنى بدأ البيت بالفعل الماضى "نشرت " الذى دل على التحقيق والتأكيد ،وأنها نظرت إلى ما تفتخر وتعجب به وهو سواد شعرها وهو كناية عن صفة الشباب وصغر السن ، وقد ذكر الشاعر سواد الشعر لأنه من أعظم محاسن المرأة التى تعجب بها خصوصا إذا اجتمعت فيها كل المحاسن ،كما أنه يحصل به تعلق قلب المحب أكثر من غيره مما تشتمل عليه محاسن المرأة .

وقوله "ورأسك كالثغامة أبيض" تشبيه ،فالشاعر مازال يجرد من نفسه شخصا آخر ويخاطبه فشبه رأس صاحبه الذى جرده من نفسه بالنبات الأبيض المثمر وزهره، فجعل بياض شعره الذى سببه الشيب كهذا النبات الأبيض ،والتشبيه هنا يدل على انتشار الشعر الأبيض فى رأسه ،وهذا بدوره يدل على كبر سنه ووهن عظامه .

وقد اجتمعت الصورة البيانية فى البيت مع الطباق الذى وقع فى البيت الأول بين اللفظين " صرمت" و"وصلك" وفى البيت الثانى بين " سودا" و" الثغامة" وهذا التضاد والتناقض العجيب أكد مدى ما وصل إليه من الشيب

---

(١) يقول علقمة فى ذلك :

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

يرد ثراء المال حيث وجدنه وشرخ الشباب عندهن عجي

= ينظر :- ديوان علقمة الفحل تحقيق لطفى الصقالورية الخطيب ص ١٨ دار الكتاب العربى بحلب ط ١ سنة ١٩٦٩م.

فى حين أن محبوبته مازالت فى ريعان شبابها ،ما جعلها تتركه وتذهب لغيره .

وقوله" واستنفرت لما رأتك " كناية عن الإعراض والنفور والبعد عنه لما رأته من كبر سنه.

وبين الشطر الأول من البيت والشطر الثانى مقابلة معنوية ،فالشطر الأول معناه البعد والفراق وعدم الرغبة فى رؤيته ،بينما يدل الشطر الثانى على الحب واللقاء والرغبة فى رؤيته وذلك حينما كان شابا

أما قوله " وكذاك وصل الغانيات ... " فهو تشبيه ،حيث شبه الشاعر وصل الغانيات بالسراب فى الأرض الخالية التى ليس فيها حياة ، وبالبرق الخادع الذى ليس معه مطر ، والتشبيه أكد أن طلب وصل الغانيات لمن شاب رأسه ووهن عظمه كطالب الماء من السراب ،وانتظار المطر من البرق الخلب ،إلى جانب ما فى الجملة من التأكيد ب"إن" فى قوله" فإنه ال ببلقعة" والبيت كله كناية عن صعوبة وصل الغانيات لمن شاب رأسه وهرم ،و تشبيه لهيئة الدنيا وتقلبها وعدم النفع من ورائها، بالغانيات الجميلات يؤول بصاحبها المرجى بها إلى سراب لا نفع من ورائه، وقد استخدم الشاعر التشبيه ،لأنه عنصر من عناصر الأسلوب يرسم الصورة، وينقل المعنى فى بيان ووضوح ،يقول عنه العلوى : (التشبيه بحر البلاغة وسرها وإنسان مقلتها)[١]

(١) ينظر الطراز ل يحي بن حمزة العلوى ج٢ ص ٢٢٦- دار الكتب العلمية بيروت - والمقلة : العين كلها .

وقوله" آل ببلقعة " تأثر فيها الشاعر بقوله تعالى :" وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً"(النور ٣٩)

وهكذا بدأ "صالح بن عبد القدوس "قصيدته بالغزل كعادة الشعراء القدامى ،أما "على بن أبى طالب " فقد بدأ قصيدته بالغرض نفسه وهو النصح والوعظ والإرشاد والتى يخاطب فيها ابنه "الحسين"،كما جاءت الإشارة إلى اسمه فى أول بيت فى القصيدة قائلا:

أحسين إنى واعِظ ومؤدِّبُ فافهم فأنت العاقل المُتّأدبُ

فاحفظ وصَية والدٍ مُتّحّنِنٍ يغْذوكّ بالآداب كّيْلا تعْطّبُ

فبدأ- رضى الله عنه – قصيدته بالغرض الذي قيلت من أجله القصيدة ،وهو تأديب ابنه ووعظه ونصحه وإرشاده ، بتعليمه مبادئ الأخلاق ،فالخلق هو أبرز ما يراه الناس ويدركونه عن سائر أعمال الإسلام، فالناس لا يرون عقيدة الشخص ؛لأن محلها القلب ، كما لا يرون كل عباداته ،لكنهم يرون أخلاقه ،ويتعاملون معه من خلالها ؛ ولذا بدأ"على رضى الله عنه "قصيدته ببيتين يستلين فيهما قلب ابنه حتى يتقبل النصح بصدر رحب مناديا إياه بالهمزة التى ينادى بها القريب قائلا"أحسين" وذلك للإشعار بأنه حاضر فى القلب قريب منه لا يغيب عن الخاطر ، ومما يدل على حبه له وصفه فى الشطر الثانى من البيت بالعاقل المتأدب .،فالقصيدة قيلت فى تأديب الحسين رضى الله عنه ،وجاء الكلام مؤكدا بقوله "إني واعظ"، ثم أتى بالفعل الأمر "فافهم ، وفاحفظ "لغرض النصح والإرشاد، ولأن الأخلاق هى المؤشر على استمرار أمة أو انهيارها ،فالأمة التى تنهار أخلاقها يوشك أن ينهار كيانها ويدل على ذلك قوله تعالى:" وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا

مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِير "(الإسراء ١٦)؛ولذلك جعل "على بن أبى طالب رضى الله عنه" فى تعلم الآداب والأخلاق بقاء للإنسان كما أن فى الغذاء بقاء له فأتى بالاستعارة التى لعبت دورا واضحا فى إبراز هذه الأهمية حين قال : يغْذوكّ بالآداب كَيْلا تعْطّبُ" فقد جعل الأدب والعلم والأخلاق الحميدة التى ينصح بها ولده غذاء للروح والعقل كما أن الطعام غذاء للجسد ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى الفعل يغذوك" فقد شبه تعلم حسن الأخلاق والصفات الحميدة بالغذاء بجامع البقاء فى وجودهما والهلاك والفناء فى العدم ، ثم اشتق من الغذاء الفعل "يغذي"بمعنى "يؤكل" و القرينة الآداب ،والسر البلاغى لهذه الاستعارة ،وفضل المعنى الاستعارى على المعنى الحقيقي ،هو التوكيد والمبالغة فى أهمية التخلق بالأخلاق الحميدة، فكما أن الجسد لا يقوى ولا يقوم إلا بالغذاء فكذلك الروح والعقل لا يقوى إلا بالأخلاق والصفات الكريمة ، وكما أن عدم الغذاء هلاك للجسد فكذلك عدم تغذية الروح بالأخلاق هلاك له، وقد زيل البيت بلفظ "تعطب " أى تفسد، الذي جعل الاستعارة مرشحة؛لأن هذا اللفظ يلائم المستعار منه"يغذوك"، والترشيح يزيد الاستعارة بلاغة ، وتقوية لدعوى الاتحاد التى هى مبني الاستعارة يقول الدسوقى : (سميت الاستعارة التى ذكر فيها ما يلائم المستعار منه "مرشحة" لأنها مبنية على تناسي التشبيه ،حتى كأن الموجود فى نفس الأمر هو المشبه به دون المشبه ،فإذا ذكر ما يلائم المشبه به دون المشبه ،كان ذلك موجبا لقوة ذلك المبنى، فتقوى الاستعارة بتقوى مبناها لوقوعها على الوجه الأكمل)[١] ويقول

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد – ضمن شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠– دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

الزمخشرى : (هذا من الصنعة البديعية التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا ،وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تقفي بأشكال لها وأخوات ، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة ،وأكثر منه ماء ورونقا)[١] وذلك لأن فيه (إيهام النفس أن الحديث يجري على الحقيقة ،ويصاغ الكلام صياغات تؤكد هذا التناسي ،ويبنى على ذلك أمور لطيفة يزداد بها الأسلوب دقة وجمالا)[٢]

ويسترسل "صالح بن عبد القدوس " مجردا من نفسه شخصا آخر مخاطبا إياه قائلا :

٥)فدَعِ الصِّبا فلقدْ عداكَ زمانُهُ وازهَدْ فعُمرُكَ مرَّ منهُ الأطيَبُ

٦)ذهبَ الشبابُ فما له منْ عودةٍ وأتَى المشيبُ فأينَ منهُ المَهرب

من أجل ذلك اترك الصبا والتصابى واللهو واللعب ،فقد مضى زمانه وانتهى ،وازهد فيما بقى من عمرك ،فقد مر منه الأطيب وهو زمن الشباب فالشاعر هنا يتحدث على ما فات من عمره متندما على افراطه فيه وتفريطه ،حاثا على فعل الصالحات فيما بقى من عمره ،فقد مضي زمن الصبا وليس له عودة ، وأتى المشيب رغما عنك ،ولا تستطيع الهرب منه ،حتى ولو تسترت بالحناء والخضاب فلا مهرب منه،فقد غشيك واضعفك، وكفى بالشيب واعظا ،فقد قيل إنه رسول الموت ، فهو كالضيف الذى حل عندك إذا لم تكرمه بالطاعات ترى له أسفا ودمعا يسكب لفراقه فعلى الإنسان أن يتوب من ذنوبه فورا ،حتى لا يدركه الموت بغتة [٣] فالتوبة تغفر جميع الذنوب

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ص ٥٠

(٢) ينظر التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان د محمد أبو موسي ص ٣٥٧ ، بتصرف مكتبة وهبة للطباعة والنشر ط ٧ ٢٠٠٩م

(١) قال ابن عبد ربه : بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا

= ينظر ديوان ابن عبد ربه جمعه وحققه د محمد رضوان الداية ص ٥٠ مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٧٩م.

كما قال تعالى :" إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيما"(الفرقان٧٠).

وقوله "فدع الصبا" أسلوب أمر غرضه النصح والإرشاد ،ويكمن سر جماله فى دلالته على حرص الشاعر على نصح الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاح أمرهم ، والكلام قد بنى على التجريد كما بدأ الشاعر قصيدته؛ لأنه يوجه هذا الخطاب لنفسه فيقول "فدع الصبا" ،والتجريد له بلاغته وبراعته فى الأسلوب (فهو طريقة فذة فى بناء المعانى وكأن الشاعر ينتزع من نفسه نفسا ثانية، يحاورها ،ويحادثها حتى تكتمل ،....ثم إن فى التجريد ومخاطبة الشاعر نفسه تحريكا للمخاطب ،وإن كان غير مراد بالخطاب ، وكأن الشاعر يقبل عليه ويقترب منه ، ويبثه كلامه وشعره وحواره ، ثم إن إبراز ضمير المخاطب فى الكلام يورثه حيوية ، ومؤانسة للقارئ ،أو السامع)[1] وقد تضافرت الصورة البيانية مع الاسلوب الإنشائى فى هذه العبارة " فدع الصبا" فهى استعارة مكنية حيث شبه الصبا بشىء مادى يترك ،وسر بلاغتها هو التجسيد فبالاستعارة تجسد المعنوى حتى أصبح محسوسا ملموسا .

ثم بين الشاعر السبب فى ترك الصبا والتصابى فقال " فلقد عداك زمانه " وكأن سائلا سأله لماذا اترك الصبا فأجابه لأن زمانه قد تعداك وتركك وأصبحت فى زمن وعمر آخر وهو عمر الشيب والهرم ،ثم عاد فى الشطر الثانى لأسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد فقال " وازهد فعمرك مر منه الأطيب " أى عليك بالزهد وترك الجرى وراء الغوانى والملذات فقد

(١) ينظر قراءة فى الادب القديم د محمد محمد أبو موسى ص ٣٧، ٣٨ مكتبة وهبة ط ٤ ٢٠١٢م .

ولى وذهب من عمرك فترة الشباب وليس له عودة ، وقوله " الأطيب" كناية عن فترة الشباب ، ثم أكد على انتهاء فترة الشباب بالاستعارة فقال " ذهب الشباب فما له من عودة " فشبه فترة الشباب بالإنسان الذى يذهب ولن يعود، وسر جمالها التشخيص ، وقوله "فما له من عودة " إطناب بطريق الترادف ، فمعنى فما له من عودة أى ذهب ولم يعد والأطناب أكد عدم عودة فترة الشباب مرة أخري ،أما قوله " وأتى المشيب " فهى أيضا استعارة مكنية فقد شبه المشيب بإنسان يأتى ولا تستطيع أن يهرب منه ، وسر جماله التشخيص والاستعارة قد أكسبت المعنى قوة ووضوحا ،وأبرزت اللفظ فى حلة بديعية ، وحسن جمال الصورة البيانية هنا : أنها جعلت كلا من الشباب والشيب وهما معنويان يذهبان ويأتيان ،وبهذا قد خلعت عليهما بعض صفات الكائن الحى وأكسبتهما التشخيص كما نقلتهما إلى الواقع الملموس يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : (فإنك لتري بها الجماد حياَ ناطقاَ، والأعجم فصيحاَ، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية) [١]، فالصورة الاستعارية من عوالم الإبداع البياني ، توصل الشعراء إلى القول الجميل والخيال المثير والعاطفة الجياشة ،يقول عنها أحد النقاد المحدثين : (الاستعارة هى الوسيلة التى يحلق بها الشعراء وأولوا الذوق إلى سماوات الإبداع إذ بها ينقلب المعقول محسوسا ، تكاد تلمسه اليد ، وتبصره العين ،ويشمه الأنف ، وبالاستعارة تتكلم الجمادات وتتنفس الأحجار، وتسرى فيها آلاء الحياة) [٢]

---

(١) ينظر :أسرار البلاغة ص ٤٣.

(٢) ينظر البلاغة العربية فى ثوبها الجديد علم البيان د بكرى شيخ أمين ص١١١ دار العلم للملايين ٢٠٠٣ م .

وقد تضافرت الصورة البيانية مع المحسن البديعى فأضفى على البيت نوعا من الحسن المؤكد للمعنى بما أورده من مقابلة بين شطري البيت فى قوله (ذهب الشباب ...)..و(أتى المشيب .....) فالمقابلة بينهما جسدت المعنى فكان لها أبلغ الأثر فى نفس المتلقى. ،فأسلوب المقابلة قد وضح المعنى وأكده لما هو معلوم من أن المقابلة تزيد المعنى وضوحا فى الفكر ورسوخا فى النفس .

واستخدام الشاعر للفعل الماضى "ذهب"و"أتى " دل على التحقيق والتثبيت ،وهكذا نجد أن المعانى التى عبر عنها الشاعر لم تكن لتنسيه توشيحها وتزيينها بصورة بيانية وأيضا صورة بديعية زادت المعنى عمقا وتأثيرا .

ثم ختم البيت بالاستفهام فقال "فأين منه المهرب" أى لا مهرب ولا ملجأ من الشيب فهو آت لا محال، والاستفهام غرضه التعجيز والاستسلام ، أو النفى :أى لا مهرب منه ، فينبغي لمن ذهب شبابه وأدرك الشيب أن يجتهد فى الأعمال الصالحة ، والمسارعة فى الخيرات ،وتحصيل الزاد ، والتأهب ليوم الميعاد ،فقد قال تعالى " وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ "(فاطر٣٧) فقد قيل أن المقصود بالنذير هو الشيب، وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم – وقيل هو الموت يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية : ("والنذير " الرسول – صلى الله عليه وسلم – ،وقيل : الشيب) [١] وفى تفسير البغوى :(قوله "وجاءكم النذير"، يعنى محمدا –صلى الله عليه وسلم ، هذا قول أكثر المفسرين ،وقيل : القرآن ، وقال عكرمة ،وسفيان بن عيينة ،ووكيع :هو

(١) ينظر الكشاف للزمحشرى ص ٨٨٨ دار المعرفة بيروت – لبنان ط٣ ٢٠٠٣م

الشيب ،معناه :أولم نعمركم حتى شبتم ،ويقال : الشيب نذير الموت، وفى الأثر : ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدى فقد قرب الموت.")[١]

وفى قوله " ذهب الشباب "نجد تأثير الحديث النبوى الشريف على ألفاظ الشاعر ففيه إشارة إلى ما رواه الحسن :أن النبى- صلى الله عليه وسلم- كان يتمثل بهذا البيت كفى بالإسلام والشيب للمرء ناصبا " أى زاجرا رادعا ، وإنما كان يتمثل به لأن الشيب نذير الموت والموت يسن إكثار ذكره لتنتبه النفس من سنة الغفلة ، فيسن لمن بلغ سن الشيب أن يعاتب نفسه ويوبخها بإكثار التمثيل بذلك)[٢] .

وهذا البيت – ذهب الشباب فما له من عودة ... – يجرى مجرى الحكمة .

ومن المعاني المشتركة بين القصيدتين (البكاء على الذنب خوفا وخشية من الله تعالى) ففى قصيدة "صالح بن عبد القدوس" يقول :-

٧) دَعْ عنكَ ما قد كانَ في زمنِ الصِّبا واذكُرْ ذنوبَكَ وابكِها يا مُذنبُ

٨) واذكرْ مناقشةَ الحسابِ فإنه لا بَدَّ يُحصي ما جنيتَ ويَكتُبُ

٩) لم ينسَهُ الملَكانِ حينَ نسيتَهُ بل أثبتاهُ وأنتَ لاهٍ تلعبُ

---

(١) ينظر تفسير البغوى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى ص ١٠٧٤ دار ابن حزم للطباعة والنشر ط١ ٢٠٠٢م

(٢) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المعو عبد الرؤف المنادى على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير لجلال الدين السشيوطى ج ٩ ص ٢٠٣ طبعة دار المعرفة بيروت- لبنان ط٢ ١٩٧٢م .

وهنا يواصل الشاعر مخاطبة نفسه بتجريده من نفسه شخصا آخر فيقول "فدع عنك ما قد فات فى زمن الصبا" والأمر هنا على سبيل النصح والإرشاد أى اترك ما كنت متلبسا به حال الصبا من اللهو واللعب والهوى ، ونحو ذلك ، ولم يكتف الشاعر فى تقديم النصيحة بترك اللهو فقط بل أمر أيضا بتذكر الذنب والبكاء عليه ، وقد جاء الأمر هنا على سبيل الندم والتوبة على ما فات ،أى اذكر ذنوبك أيها المذنب واندم على ما فرطت فى ذلك من ارتكاب الصغائر والكبائر ،فعلى الإنسان أن ينتبه من غفلته، وأن يسأل الله تعالى الغفران ،وأن يندم على ما مضى ويتذكر ذنوبه ويبكها توبة وندما وتحسرا على ما ارتكبه من الذنوب ، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، فإن من طبيعة الإنسان الوقوع فى الخطأ والذنب ،ولكن لا حجة له فى ذلك ،ولا مبرر للاستمرار فى الذنب ،بل أنه مأمور بتصحيح خطئه بالتوبة ، فقد مدح الله عز وجل التوابين قال تعالى "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "(البقرة ٢٢٢)، فلا عذر للإنسان فى المداومة على الذنب ،وهنا بين الشاعر أنه على الإنسان أن يتذكر ذنوبه ويتوب ،ولا يستصغر الذنب ،فاستصغار المذنب لذنبه يجعله لا يلقى لها بالا فينساها ،وقد أكد الشاعر على هذا المعني بقوله :" لم ينسَهُ الملَكانِ حينَ نسيتَهُ ....البيت" وقوله "يا مذنب" نداء غرضه التوبيخ .

وإذا أمعنا النظر فى هذا البيت نلمح تأثر الشاعر بالحديث النبوى الشريف الذى ترك بصماته الواضحة على الشاعر فى أسلوبه ففى قوله " واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب " اقتبس الشاعر معنى هذا البيت من حديث

عقبة بن عامر –رضى الله عنه– قال قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك " (١)

و مازال "صالح بن عبد القدوس "مجردا من نفسه شخصا آخر فيخاطبه لابسا ثوب الواعظ الحكيم فيقول تذكر أيها الإنسان يوم القيامة حيث العرض على الله تعالى لمناقشة الحساب، فكل ما فعلته فى دنياك مكتوب ومدون فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فإن الله تعالى قد وكل بكل إنسان ملك عن يمينه وآخر عن شماله يكتبان كل ما يتلفظ به ،فكل ما جناه الإنسان فى عمره من قليل أو كثير من الأقوال والأفعال سوف يحاسب عليها يوم القيامة قال تعالى :" وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"(الكهف ٤٩) وقال تعالى :" أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ" (المجادلة ٦)

إلى غير ذلك من الآيات التى تدل على أن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الإنسان على كل ما اقترفه فى حياته ، فعليك أيها الإنسان بالحذر والحيطة من يوم الحساب، فالمناقشة رهيبة ،وستجد كل شىء جنيته من خير أو شر فى صحائف أعمالك قد أحصى عليك ،فقد أثبتاه الملكان ،وأنت لاه غافل لا تدرك خطر ما يسجل عليك من الذنوب، والله محيط من ورائهما بما يعلماه وما لم يعلماه من عمل الضمائر، مثل معصية الرياء ، أو طاعة الإخلاص ، فكل مكلف سوف يستعرض شريط حياته بالصور المحسوسة الحية المتحركة ، فيرى نفسه فى المكان والزمان حين فعل ما فعل مشاهدة

(١) رواه الترمذى فى الجامع الكبير للإمام الترمذي تحقيق بشار عواد معروف ج ٤ ص ٢٠٨ دار المغرب الإسلامي ط١سنة ١٩٩٦م

عيانا قال تعالى:"يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(النور ٢٤)

وقوله" واذكر مناقشة الحساب" أسلوب أمر غرضه التحذير والتنبيه ،ومناقشة الحساب كناية عن يوم القيامة ،أى تذكر أيها الغافل يوم القيامة وأنت واقف بين يدى الله تعالى يحاسبك على كل ما فعلته،ولما قصد الشاعر عرض المعنى بصورة محسوسة مصحوبة بالدليل والبرهان سلك مسلك الكناية التي تفيد المبالغة فى أداء المعنى مع الدليل والبرهان و الإيجاز في العبارة وعرض المعنى بصورة محسوسة، فيزداد تعريفا وتوضيحا، ثم أكد على علم الله تعالى بكل ما يجنيه الإنسان من قول أو عمل بأسلوب كناية آخري فقال " فإنه لابد يحصى ما جنيت ويكتب" فهى كناية عن علم الله تعالى بكل ما يفعله الإنسان فى حياته ،ثم جاء الشاعر بالبيت التالى ليؤكد معنى البيت السابق ،وهو أن كل ما جناه الإنسان فى حياته مثبت فى صحائف أعماله و سيحاسب عليه فقال"لم ينسياه الملكان حين نسيته " وهو طباق بالسلب، وضح المعنى وأكده ،ثم جاء بأسلوب القصر زيادة فى التوكيد فقال "بل أثبتاه " فهو أسلوب قصر بطريق العطف بـ"بل " ،والقصر أكد علم الله تعالى بكل ما اقترفه الإنسان فى حياته، فالله تعالى وكل بكل إنسان ملكين يثبتان كل ما جناه الإنسان من الأقوال والأفعال حتى ولو نساه الإنسان ،وأكد ذلك الشاعر فقال "بل أثبتاه وأنت لاه تلعب "أى أثبت الملكان ودونا كل ما فعلته وأنت غافل لاه فقوله "وأنت لاه تلعب" كناية عن غفلة الإنسان ولهوه .

وقد استخدم الشاعر فى هذين البيتين من الأفعال الماضي والمضارع كل فى سياقه، فلما أراد التحقيق والتثبيت استخدم الفعل الماضى فقال "

جنيته ، ونسيته ، وأثبتاه " ولما أراد استحضار الصورة حتى تكون ماثلة أمام الأعين استخدم المضارع فقال " يحصى ،ويكتب ، وتلعب " .

وإذا نظرنا لقصيدة "على بن أبى طالب " نجد أنه قد عبر عن هذا المعنى وهو يعظ ابنه بالتدبر فى آيات الله تعالى عند تلاوتها قائلا :

وإذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعْظِيَّةٍ تَصِفُ العَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ

ففى الأبيات السابقة لهذا البيت يطلب "علي رضي الله عنه " من ابنه أن يقرأ القرآن بتأمل وتفكر وتدبر ويؤكد ذلك فى هذا البيت ، فيعظه بأن يقبل على القرآن الكريم ،فينتفع به فإذا مر بآية فيها عظة وعبرة فعليه أن يتعظ ويعتبر بما فيها ،فإذا كانت تصف عذابا فعليه أن يقف ويبكى خوفا وخشية من عذاب الله تعالى ،فالأمر بالبكاء على الذنب والخوف من الله تعالى ومن عقابه ورد فى القصيدتين، وأري أن "صالح بن عبد القدوس" أخذ من "على بن أبى طالب " معنى استحضار الذنب والبكاء عليه وزاد عليه ،فطلب ممن ترك زمن الصبا ودخل فى مرحلة الشيب أن يبكى على أيامه التى مضت دون عودة ، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه ،بل ظهر تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فقد اقتبس معنى هذين البيتين من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف تأثرا بهما ، فمن القران الكريم تأثره بقوله تعالى" وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ"(يس ١٢) وقوله تعالى"إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ"(ق ١٧) وقوله تعالى:" وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ"(الانفطار ١٠،١١) و قوله تعالى" أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ"(المجادلة ٦)

وأما تأثره بالحديث النبوى الشريف ،فإن الشاعر قد اقتبس معنى قوله " واذكر مناقشة الحساب " من قول – النبى صلى الله عليه وسلم – " من حوسب عذب "قالت عائشة رضى الله عنها :فقلت ؟أوليس يقول الله تعالى "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا"(الانشقاق٨) قالت: فقال: "إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك)[١]

وهكذا نجد أن أثر الحديث النبوى الشريف بعد القرآن الكريم قد ترك بصماته الواضحة على "صالح بن عبد القدوس "مما يدل على ما اتصف به الشاعر من التقوى والورع والتدين .

وبعد أن أمر الشاعر فى الأبيات السابقة بتذكر الذنوب واستحضارها والبكاء عليها، ومناقشة الحساب وما كتبه الملكان من الحسنات والسيئات ،بدأ يتحدث عن الروح وأنها وديعة وأمانة عندنا وسترد إلى خالقها ،وأن حقيقة الدنيا متاع الغرور، وأن كل ما يجمعه الإنسان من المتاع سوف يتركه ،ولا يبقى إلا ما أنفقه الإنسان فى سبيل الله تعالى فيقول:-

١٠) والرُّوحُ فيكَ وديعةٌ أُودِعْتَها ستُرَدُّها بالرغمِ منكَ وتُسلَبُ

١١)وغرورُ دنياكَ التي تسعى لها دارٌ حقيقتُها متاعٌ يذهبُ

١٢) والليلُ فاعلمْ والنهارُ كلاهما أنفاسُنا فيها تُعدُّ وتُحسبُ

١٣- وجميعُ ما خلَّفتَهُ وجمعتهُ حقاً يَقيناً بعدَ موتِكَ يُنهبُ

١٤- تَبَّاً لدارٍ لا يدومُ نعيمُها ومَشيدُها عمّا قليلٍ يَخرب

(١) رواه البخارى صحيح البخارى ج١ ص ٣٥ .

فى هذه الأبيات يحذر الشاعر من الاغترار بالدنيا وطول الأمل ، ويدعو إلى تقوى الله والتزود من الأعمال الصالحة ما دامت الفرص للإنسان سانحة ، وبين أن الله تعالى قد كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ،فبعد أن تحدث عن الحساب فى الأبيات السابقة بدأ حديثه عن الروح وبين حقيقتها ، فهى وديعة وأمانة أودعها الله فى الإنسان وسوف ترد إلى خالقها ،والروح شيء استأثره الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه ،ولتأكيد هذا المعنى استخدم الشاعر أسلوب القصر فقال "والروح فيك وديعة" فهو قصر بطريق التقديم ،حيث قدم الجار والمجرور "فيك" أى الروح عندك أيها المخاطب وليست عند غيرك ،مما أكد أهمية الروح وأنها أمانة أودعها الله فى الإنسان وسيردها بالقهر والغلبة .

هذا وقد تضافرت الألوان البلاغية على هذا الأسلوب فإلى جانب أسلوب القصر نجد أيضا الصورة البيانية التى تمثلت فى التشبيه، حيث شبه الروح بالوديعة ، فالشاعر استخدم أسلوب التشبيه فهو عنصر من عناصر الأسلوب يرسم الصورة ،وينقل المعنى فى بيان ووضوح.

وقوله "وستردها" يرمز إلى الموت ، أما قوله "بالرغم منك " فهى توحى بالضعف والاستسلام ، وقوله" وتسلب" فإنها توحى بالقهر والغلبة فى أخذ ملك الموت للروح ، وأن الروح سترد إلى خالقها رضي صاحبها أم كره .

وقد بنيت الأفعال " أُودِعْتَها" و" ستُـرَدُّها " و"تُسلَبُ "للمفعول لأن الفاعل معلوم بالضرورة وهو الله سبحانه وتعالى، فالروح من أمر الله وسر من أسرار علم الغيب قال تعالى " " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "(الإسراء ٨٥)

ثم بين الشاعر أن أنفاسنا تعد وتحصى بالليل والنهار ،وبانقضاء الليل والنهار تنقضى آجالنا ،وأكد ذلك بالطباق بين "الليل والنهار "الذي يوضح المعنى ويقويه ، ثم جاء بالفعل الأمر "فاعلم" ليفيد التحسر والتندم علي ما مر من العمر ، ويوضح الشاعر أن أنفاسنا تعد وتحسب ،فالليل والنهار بمثابة عداد يعد علي الإنسان أنفاسه حتى إذا وصل هذا العداد إلى الصفر يموت الإنسان ، وللتأكيد على هذا المعنى استخدم الشاعر أسلوب القصر فقال "أنفاسنا فيها تعد وتحسب" فهو أسلوب قصر طريقه التقديم، كما أن فيها استعارة مكنية حيث شبه الأنفاس بشيء مادى محسوس يعد ويحسب ، والاستعارة أفادت التجسيم.

وقد ذكر الشاعر حقيقة الدنيا وأنها دار متاع الغرور، يتمتع به قليلا ثم يفنى ويذهب بجميع ما تركه الإنسان من أموال ولا يبقى إلا ما أنفقه فى سبيل الله تعالى ،وقد كنى عن الدنيا بلفظ "دار" فهو كناية عن موصوف وهى الدنيا ، والكناية فن من فنون البيان وركن من أركانه الأساسية ،وتستمد قيمتها من الغايات التى تقوم بها .

أما قوله" دار حقيقتها متاع "فهو تشبيه أى دار حقيقتها كالمتاع فشبه الدنيا بمتاع زائل ، والبيت كله إشارة إلى ذهاب الدنيا ،وذهاب كل ما جمعه الإنسان فيها ،فنعيمها زائل ، فاتعظ يا هذا بذلك .

أما قوله" وجميع ما حصلته وجمعته " فهى تفيد أن كل ما اكتسبه الإنسان مطلقا حلال أم حرام فإنه سيذهب للورثة يتقاسمونه وحسابه عليه فهو من اكتسبه وجناه ، وربما صارت ثروته للأعداء ، والبيت فيه إيحاء بزوال الدنيا .

ويؤخذ على الشاعر هنا استخدامه للفظ "ينهب" فى قوله :" حقا يقينا بعد موتك ينهب "فلفظ ينهب يشعر بالسرقة والنهب وأخذ الشيء بغير حق ،بينما المال بعد موت الإنسان يصبح ميراثا حلالا لمن يرثه ،فلا يصح أن يطلق عليه ينهب .

وأري أنه كان على الشاعر أن يقول "حقا يقينا يذهب " أفضل فهى تؤدى نفس المعنى الذي أراده الشاعر دون أن يكون فيها من الألفاظ ما تنفر منه النفس ..

ثم ذم الدنيا ودعا عليها بالخسارة والنقصان فقال "تبا لدار لا يدوم نعيمها " فلفظ "تبا" أسلوب دعاء على الدنيا بالخسارة والهلاك ، وليس المقصود بالمدعو عليه هى الدنيا ،ولكن المدعو عليه هو من تمسك بها ، ثم بين السبب فى هذا لدعاء بقوله "لا يدوم نعيمها" فهو تعليل لما قبلها فهو قد دعا على الدنيا لأن نعيمها لا يدوم؛ فتبا لها من دار تمر مر السحاب وتخدع كالسراب ، وما يبنيه الإنسان فيها يؤول للخراب ،فالدنيا جعلت مقدمة للآخرة ،ففيها الاستعداد لدخول الجنة والنجاة من النار ،وهى أيضا مظهرا لما يكون هناك من نعيم وعذاب ودالة عليه ، ثم ختم البيت بالطباق بين لفظ "مشيدها" و "يخرب" الذى أكد المعنى ووضحه وزاده حسنا وبهاء من خلال ذكر اللفظ وضده، فالتضاد من الأمور الفطرية التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ،إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده

والأبيات قد بنيت على التجريد ، والتجريد طريقة فذة فى بناء المعانى وكأن الشاعر ينتزع من نفسه نفسا ثانية يحاورها ويخاطبها فيبتعد عما عليه مألوف الكلام، ثم إن فى التجريد ومخاطبة الشاعر نفسه تحريكا للمشاعر ،كما أن فى إبراز ضمير المخاطب فى الكلام يورثه حيوية ،

ومؤانسة للقارئ، و السامع ،ولعل هذا يرجع إلى شيء مما قاله البلاغيون فى الالتفات وأنه يورث الكلام تطرية وتنشيطا .

ونلاحظ أن الشاعر قد اعتمد على المعاني الدينية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ،واقتبس منهما تأثرا بهما ،وهو بهذا التأثير يخاطب عواطف المتلقين بحكم تنساب انسيابا بشكل رائع معتمدا على الموروث الديني وينهل منه ؛لأنه هو الذي يغذى الروح ويظهر هذا بوضوح في الأبيات السابقة فقوله" والروح فيك وديعة ..." فالبيت إشارة إلى قوله تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "(الإسراء ٨٥)

أما قوله" والليل فاعلم والنهار كلاهما.....) فيظهر فيه تأثر الشاعر بقوله تعالى:" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا(الإسراء ١٢).

قوله "وغرور دنياك التي تسعى لها...." فأرى أن الشاعر متأثر فى هذا البيت بقول الله تعالى :" أما وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"(ال عمران ١٨٥).

وأما قوله "تبا لدار لا يدوم نعيمها .....) فلعل الشاعر قد استمد معنى هذا البيت من من قول الله عز وجل " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا

أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(يونس ٢٤)

وقوله: "والليل فاعلم والنهار كلاهما..." فيظهر فيه تأثر الشاعر بقوله تعالى:" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"(الإسراء ١٢)

كما نرى أن الشاعر قد استمد قوله :"وجميع ما حصلته وجمعته ...." من قول الله سبحانه وتعالى :" وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ"(الأنعام ٩٤)، كما يظهر تأثر الشاعر بالحديث النبوي الشريف فى هذا البيت أيضا، فقد استمد البيت من قول النبي – صلى الله عليه وسلم– :"يتبع الميت ثلاثة :فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ،يتبعه أهله وماله وعمله ،فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله "[1]

وبعد أن أمر الشاعر بالإكثار من عمل الخيرات طمعا فى ثواب الله تعالى ،وأكد أن الدنيا زائلة وأنها متاع الغرور ،وأن الروح وديعة لابد أن تسترد ،بدأ بعد ذلك بإهداء النصيحة التى تعتبر نتيجة تجاربه فى الحياة ،فأخذ فى ذكر بعض النصائح والمواعظ التى يجب أن يلتزم بها كل إنسان فقال :

١٥) فاسمعْ هُديتَ نصيحةً أولاكَها بَرٌّ نَصوحٌ للأنامِ مُجرِّبُ
١٦) صَحِبَ الزَّمانَ وأهلَه مُستبصراً ورأى الأمورَ بما تؤوبُ وتَعقُبُ[2]

(١) رواه البخاري ينظر صحيح البخاري تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ج٣ ص ٣٣١.
(٢) تعقب : أى تتناوب وتعود .ينظر: اللسان مادة عقب

١٧) لا تـأمَنِ الدَّهرَ الخَؤُونَ فـإنهُ ... مـا زالَ قِـدْماً للرِّجالِ يُـؤدِّبُ

١٨) وعـواقِبُ الأيـامِ فى غَصَّـاتِهـا [١] ... مَضَضٌ[٢] يُذَلُّ لهُ الأعزُّ الأنْجَبْ

١٩) فعليكَ تـقوى اللهِ فـالزمْها تفزْ ... إنّ التّقَىَّ هـوَ البَهيُّ الأهيَـبُ

٢٠) واعملْ بطاعتِهِ تنلْ منـهُ الرِّضا ... إن المطيعَ لـهُ لديهِ مُقـرَّبُ

٢١) واقنـعْ ففي بعضِ القناعةِ راحةٌ ... واليأسُ ممّا فاتَ فهوَ المَطْـلبُ

٢٢) فـإذا طَمِعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلَّـةٍ ... فلقدْ كُسيَ ثـوبَ المَذلَّةِ أشـعبُ

يلبس الشاعر هنا ثوب الواعظ فيسدى لنا بعض النصائح من خلال تجاربه ، وهذه النصائح مصاغة في قالب شعري جذاب يلفت الانتباه إلى ما يقال فهي تجربة شعرية تصلح لكل زمان ومكان، يوجه الشاعر الخطاب فيها لكل قارئ ومستمع لهذه الأبيات فيقول: اسمع هداك الله إلى ما يرضيه وأرشدك إليه و دلك عليه ، فقد أهدي لك هذه النصائح إنسان قصد بها برك والإحسان إليك ،وهذه النصائح إنما هى نتيجة تجاربه فى الحياة ،ثم دلل على ذلك بصحبته للزمان وأهله ،صحبة مستبصر متأمل معتبر ورأى وشاهد ما تؤول إليه الأمور ؛فالشباب إلى هرم والصحة إلى سقم ،والقوة إلى ضعف، وهكذا تتعاقب حوادث الليالي والأيام ،ثم حذر من الدهر وغدره وتقلباته ، فلا يأمن الإنسان صروف الدهر فكم من عزيز ذل ، وغنى افتقر ، ومعافى سقم ؛إنها عجلة الأيام تدور على الناس فيتغير حالهم من حال إلى

(١) غصاتها : غص بالماء يغص غصا وغصصا : وقف الماء فى حلقه فلم يكد يبتلعه ينظر اللسان مادة غصص.

(٢) مضض: مضض أى حرقة ،تقول : مضنى الهم والحزن أى :أحرقنى وشق على والهم يمض القلب أى يحرقه ينظر اللسان مادة مضض.

حال ،ولذلك يجب على الإنسان أن يلزم تقوى الله فهى الحصن الحصين من المهالك وهى سبب الفوز والفلاح قال تعالى :" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"(الطلاق ٢،٣).

وقد بدأ الشاعر الأبيات بأسلوب الأمر فقال "اسمع هـديت نصـيحة" وهو أمر قصد منه النصح والإرشاد والتنبيه على أهمية ما يقال ،وقد جاءت كلمة "نصيحة" نكرة للتعظيم والمبالغة من شأنها، وفى إهدائه لهذه النصائح ما يشعر بأنه يحب الخير لغيره ،ونلمس ذلك من قوله "هديت " فهى جملـة دعائية بمعنى هداك الله وهى تدل على أخلاقه الكريمة فى تقديم النصيحة .

أما قوله "أولاكها" فهى استعارة مكنية حيث شبه النصـيحة بشـيء مادى يقدم ،مما أفاد تجسيم المشبه وإبراز قيمته وكأنها هدية أهداها لمـن يحب، أما قوله "بر نصوح "فتفيد كثرة البر والنصح" وقوله "للأنام" جـاءت نكرة لتفيد العموم والشمول، فهو لا يختص أحدا بنصائحه فبره ونصحه عام وشامل لجميع الناس كما أنها نصيحة محب مخلص .

ثم جاء بالبيت التالى ليدلل على أن نصائحه إنما هى نتيجة تجاربـه فى الحياة فقال " صحب الزمان وأهله"،أى أن هذه النصائح هى مقدمة لـك من إنسان مجرب محنك تقدم فى العمر مر بكثير من التجارب، والجملة من باب الاستعارة ، فهى استعارة مكنية حيث شبه الزمان بإنسان يصاحب وهى للتشخيص وتدل على مدى خبرته فى الحياة وتعاقب الزمان والأجيال عليه .

ثم حذر الشاعر من الدهر وتقلباته ووصفه بأنه خؤون فقوله "لا تأمن الدهر الخؤون "نهى للتحذير والتنبيه حتى لا ينخدع الناس بالدهر وتقلباتـه، وفى إسناد الخيانة للدهر استعارة مكنية فقد شبه الدهر بإنسان خائن وليس

هذا فقط بل أن صفة الخيانة صفة ثابتة فيه وكثيرة ؛ولذلك عبر بصيغة المبالغة فقال " خؤون " أى كثير الخيانة .

هذا ويؤخذ على الشاعر سبه للدهر ووصفه له بالخيانة فقد نهى النبى – صلى الله عليه وسلم– فقال :"لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" (١) وقد عبر على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – عن هذا المعنى بصورة رائعة ،ولم يقل ما يؤخذ عليه حيث يقول: (٢)

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

فعبر عن المعنى ذاته دون أن يسب الدهر ،بل أنه أتى بالصورة البيانية التى جملت المعنى بما أضفته عليه من التجسيد والتشخيص وتأكيد المعنى بعرضه فى صورة حسية مجسدة ،سواء كان بالاستعارة فى قوله "يصحب الدنيا" أو التشبيه المقيد فى قوله "مثل القابض على الماء " فشبه من يحب الدنيا ويغتر بها بالقابض على الماء ،ليس هذا فقط بل خانته فروج الأصابع .

ثم وضح "صالح بن عبد القدوس "استمرار الدهر فى تقلباته لأهله فقال " مازال قدما للرجال يؤدب" أى يستمر الدهر فى الخفض والرفع لأهله ، أى للرجال الجبابرة فكم من عزيز ذل ،وغنى افتقر ،ومعافى سقم ،وهكذا الزمان وتقلباته، والجملة استعارة مكنية، حيث شبه الدهر بمؤدب يؤدب الرجال ، وسر جمالها التشخيص ومن هنا يتضح لنا أن الشاعر قد استطاع

---

(١) رواه البخاري ينظر صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٥٤.

(٢) حيث يقول من بحر الطويل : ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع :(ينظر الديوان ص ١٢٣)

أن ينقل من خلال تصويره الاستعارى تجاربه في صورة مجسدة وحية، وقد أعانه على أداء تلك الوظيفة ما تتميز به الاستعارة من قدرة على التجسيد والتصوير والإيحاءات إلى جانب الإيجاز والمبالغة .

وكما حذر الشاعر من خيانة الدهر فى البيت السابق ،حذر أيضا من عواقب الأيام وأحداثها التى تؤلم الرجال فتذل العزيز فى قومه فقوله "وعواقب الأيام" معطوف على البيت السابق "لا تأمن الدهر الخؤن.."فبينهما كمال اتصال دل على وجود علاقة وترابط بين البيتين ،وفى ذكر الأيام بعد الدهر إطناب طريقه ذكر الخاص بعد العام ،كما أن فى قوله " وعواقب الأيام فى غصاتها" استعارة مكنية حيث شبه الأيام وأحداثها الجسام بالغصة التى تقف فى الحلق، وقوله " فى غصاتها مضض" أى الم وحرقة وفيها تشبيه أيضا ، حيث شبه ما تفعله الأيام فى الناس بالمضض ، والصورة البيانية فى العبارة من استعارة وتشبيه دلت بالتشخيص والتجسيم على ما تفعله الأيام فى الناس فهى تغص الناس بمضضها وحرقتها ،ثم ختم البيت بالطباق بين "يذل "و"الأعز" ،وقد استخدم الشاعر الطباق للموازنة بين حالة الإنسان وما يعتريها من تغيير بتغير الدهر وتقلباته ، والتصوير عن طريق الموازنة يجعلنا نعيش مع الشاعر أحداث الأيام وتقلبات الدهر وما يفعله بالناس .

وبعد ذلك اتجه الشاعر إلى تنبيه السامع للخروج من هذا وذاك فقال: "فعليك تقوى الله فالزمها..." فاستخدم أفعال الأمر فى " فعليك ،فالزمها ، واعمل "وكلها غرضها النصح والإرشاد فهو ينصح السامع بتقوى الله والعمل بطاعته حتى ينال رضا ه فقوله "تنل منه الرضا" يوحى بأن الجزاء من جنس العمل ،وأكد على هذا بأسلوب القصر فى قوله "فعليك تقوى الله" و"إن التقى هو البهى الأهيب " و" إن المطيع له لديه مقرب " فكلها أساليب

قصر تؤكد ضرورة الالتزام بتقوى الله والعمل على طاعته ، فالتقى ،والمطيع هما المقربان لله تعالى وليس سواهما ..

وأري أن الشاعر قد جانبه التوفيق هنا فى قوله "إن المطيع له لديه "وذلك لركاكة الأسلوب الذى نتج عن تعاقب الضمائر هذه التى تحتاج إلى فض اشتباك حتى يفهم القارئ ما يريده الشاعر.

ثم حذر من الطمع فى الدنيا ،وأمر بالقناعة وساق أسباب ذلك ففى قوله "واقنع ففى بعض القناعة راحة" أمر للنصح والإرشاد مع بيان السبب فى الرضا بالمقسوم والقناعة بما عند الإنسان ففيه راحة البال والضمير، لذا قيل :"القناعة كنز لا يفنى" لأنها تنشأ من غنى القلب بقوة الإيمان ،ومزيد الإيقان ، ومن قنع أمد بالبركة ،فليس الغنى بكثرة متاع الدنيا ولا بالأموال ولا بالمنصب ،ولكن بالرضا بما قسم الله ، وفى الشطر الثانى من البيت يأمر بعدم النظر إلى الوراء ،وعدم التفكير فيما فات ؛ لأنه لا سبيل لعودته ففى قوله "واليأس مما فات فهو المطلب "فهى كناية عن عدم التفكير فى الماضى والنظر للمستقبل لأن التفكير فى الماضى لا فائدة فيه ولا رجاء منه.

أما قوله " فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة" ففيه تحذير من الطمع فهو سبب فى زل صاحبه ،كما فعل بأشعب[1] الرجل الذى ضرب به المثل فى الطمع والتطفل والتطلع لما عند الغير ،فقد كان أطمع أهل الأرض،وهو بهذا يسوق لنا أسباب التحلي بصفة القناعة ،مؤكدا ذلك بالاستعارة فى قوله "كسيت ثوب مذلة " فقد شبه المذلة بثوب يكسي به الطماع على سبيل

(١) سبق ترجمته فى ص من البحث .

الاستعارة المكنية كما أنه كناية عن المهانة والحقارة والدعة التى يتصف بها الطماع .

ونلحظ أن الشاعر قد اعتمد على المعاني الدينية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ،واقتبس منهما متأثرا بهما ، مما يدل على نزعته الدينية التى نجدها فى كل أبيات قصيدته هذه ويظهر هذا بوضوح في قوله:" فعليك تقوى الله .....البيت" فيه إشارة إلى مضمون قوله تعالى:" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا(الطلاق ٥)

وأيضا قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ"(الأحزاب ٧٠،٧١)وكثير من الآيات القرآنية التى تتضمن هذا المعنى .

كما يظهر أيضا تأثره بالحديث النبوي الشريف في هذا البيت أيضا ، ففيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم :(اتقى الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[١]

وقوله فاسمع هديت نصيحة أولاكها....البيت" .يظهر فيه أثر قول النبي صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٢]

أما فى قوله: "واقنع ففى بعض القناعة راحة .....البيت "فيظهر فيه تأثر الشاعر بقوله تعالى :" فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ(الأعراف ١٤٤)

---

(١) رواه الترمذى تحقيق رائد بن أبى علفه فى كتاب البر والصلة حديث رقم ١٩٨٧ ص ٣٩٩ دار الحضارة للنشر والتوزيع ط٢ ٢٠١٥م.

(٢) رواه البخارى ينظر صحيح البخاري ج١ ص ٢١ .

وكذلك قوله تعالى:" نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(الزخرف ٣٢)

كما يظهر تأثره بقول النبى صلى الله عليه وسلم "ارض بما قسم لك تكن غنيا وكن ورعا تكن أعبد الناس " ،وقد عبر عن هذا المعنى كثير من الشعراء [١]

أما قوله :"وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة.....البيت" فيظهر تأثره بقول الإمام الشافعى[٢]

وبعد أن حذرنا الشاعر من الدنيا والطمع فيها ،وأمر بالقناعة وساق أسباب ذلك ،عرج على ذلك باتخاذ الحذر والحيطة من غدر النساء، وكيدهن فقال:-

٢٥) وتَوَقَّ منْ غَدْرِ النِّساءِ خيانةً ... فجميعُهُنَّ مكايدٌ لكَ تُنصَبُ

٢٦) لا تأمنِ الأنثى حياتَكَ إنها ... كالأفعوانِ يُراغُ منهُ الأنيبُ

٢٧) لا تأمنِ الأُنثى زمانَكَ كُلَّهُ ... يوماً ولوْ حَلَفتْ يميناً تكذِبُ

٢٨) تُغري بلينِ حديثِها وكلامِها ... وإذا سَطَتْ فهيَ الصَّقيلُ الأشطَبُ[٣]

---

(١) من ذلك ما قاله الشافعى : وجدت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها ممتس
(ينظر ديوان الشافعى ص ١١٣) .

(٢) يقول الشافعى : امت مطامعى فأرحت نفسي ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ... ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد ... علته مهانة وعلاه هون
(ينظر ديوان الشافعى ص ١٤٨.).

(٣) الصقيل : أى السيف اللامع الحاد القوى والأشطب : أى الذي يقطع قددا ينظر اللسان مادة صقل وشطب .

فى هذه الأبيات يحذر الشاعر من غدر النساء وكيدهن ويرى أن المرأة كالأفعى تؤذى وتتلون مثلها، ويؤكد مرة أخري على عدم الأمان من المرأة وعدم تصديقها حتى ولو حلفت يمينا فإنها ستكون كاذبة، كما أنها تغري بلين حديثها وخضوعها بالقول ،وإذا استطاعت السطوة والقهر فستكون كالسيف القاطع، وقد بدأ الشاعر أبياته بأسلوب الأمر "وتوق من غدر النساء " فهو أمر للتحذير من المرأة، هذا وقد أكد الشاعر على كلامه هذا بمؤكدين وهما كلمة "جميعهن" ليدل على العموم والشمول، ويؤخذ على الشاعر التعميم فى هذا الأمر ، و المؤكد الثانى أسلوب القصر فقال " لك تنصب" فهو أسلوب قصر طريقه التقديم حيث قدم الجار والمجرور "لك" على الفعل "تنصب" ليدل على ما تتمتع به النساء – حسب رأيه – من مكايد للرجال ، وفى التعبير بالجمع "مكايد "ما يدل على الكثرة مع الاستمرار على الكيد بالرجال .

ويؤخذ على الشاعر هذا العموم، وعلى ما تحمله الأبيات من تشاؤم ومن تعميم ،كما أن فى كلامه مبالغة ظاهرة فى التشنيع على جنس النساء ، والتحذير منهن ،ولو كان التحذير لبعضهن أو مقتصرا على شرار النساء لكان الكلام مقبولا، أما أن يشتمل التحذير والتشنيع الصالحات من النساء فهذا أمر مرفوض لا يقبل ،وليس فى الشريعة ما يؤيده فى هذا الأمر ،وقد قال- صلى الله عليه وسلم –"النساء شقائق الرجال "[1] ، فليس كل النساء حيات وعقارب ولا غادرات وخائنات ، ولا سيوفا فالنساء فيهن العابدات المؤمنات القانتات الصادقات الوفيات الصابرات اللاتي شاركن فى بناء

(١) رواه ابو داود فى سنن أبى داود تحقيق شعيب الأرنؤط و محمد كامل قره بللي ج٣ ٣٢١ دار الرسالة العالمية سنة ٢٠٠٩م .

التاريخ الإسلامي العظيم ،فلا يقبل التعميم ،فأحوال النساء كالرجال فى الوفاء والغدر والصدق والكذب ،والخير والشر، بل هناك من النساء من سبق الرجال فى الخير ،فلا ينبغي تعميم الصورة السيئة على كل النساء ولا أوافقه على انطباق ذلك الكلام على كل النساء، فالغدر عيب بشري لا يختص بالنساء ولا بالرجال، صحيح أن الرسول –صلى الله عليه وسلم – قد حذر من فتنة النساء ،فقد قال –صلى الله عليه وسلم : (ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء)[1] ،لكنى أفهم أن هذا التحذير على أن المراد منه التنبيه إلى غرام شهوة الجنس ذاتها ،وليست المرأة مسؤولة عن هذه الشهوة ،بل جعلها الله سببا فى إثارتها فطرة فيها لا تنفك عنها ،وقد انتهج الرسول –صلى الله عليه وسلم –فى التعبير عن ذلك نهجا مجازيا ،فالله تعالى هو الذى خلق المرأة على هذا الوضع كى ينجذب الرجال إلى النساء ويتم الزواج ويكون الولد ،فتستمر الحياة .

وقوله "وتوق من غدر النساء خيانة "استعارة مكنية ،حيث شبه الغدر والخيانة بشيء مادى يتوقى منه، وقد أفادت الاستعارة التجسيم للأمور المعنوية بشىء حسى ،والعبارة توحى بعدم الثقة فيهن .

وفى البيت التالي كرر التحذير من المرأة عن طريق أسلوب النهى فقال "لا تأمن الأنثى حياتك "أى لا تعطها الأمان طوال حياتك ثم دلل على ذلك وأكد عليه بأسلوب التشبيه فقال " فإنها كالأفعوان " فشبه المرأة فى سطوتها وقوة أذاها وانخداع الرجل بها بالأفعى فى تلونها و سطوتها وسيطرتها وأذاها فقال "إنها كالأفعوان يراغ منه الأنيب " أى يخاف منها

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٢٧٤٠) ص ١٢٥٦.

كل قوى وشديد ، والعبارة مشتملة على مجاز مرسل علاقته الجزئية فقد أطلق الجزء –الناب– وأراد الكل وهو الحيوان المفترس ذو الأنياب، والعبارة توحى بسطوة المرأة وسيطرتها وقوة أذاها ،ثم كرر هذا بتكرير نفس التحذير بنفس الألفاظ فى البيت التالى فقال " لا تأمنِ الأُنثى زمانَكَ كُلَّهُ " فأكد بالتكرار على عدم إعطاء المرأة الأمان طوال الزمان وجعل ذلك بالتعميم فقال "زمانك كله"، ثم وصفها بالكذب فى الحديث حتى ولو حلفت يمينا فهى غير صادقة فى هذا اليمين ،ثم وصف المرأة بأنها تغري بلين حديثها وخضوعها بالقول، وإذا سطت وقهرت كانت كالسيف الحاد القاطع ،فشبه المرأة بالسيف فى صقله ولمعانه وفى حدته وشدة تقطيعه فقال " وإذا سطت فهى كالصقيل الأشطب " وهى كناية عن زيفها حدتها، وقسوتها على من تقدر عليه .

وأرى أن الشاعر فى هذه الأبيات تبدو عليه نظرة متشائمة تجاه المرأة ، فربما قد حدث له موقف ما فى حياته انعكس عليه فى هذه القصيدة .

ومن المعانى المشتركة بين القصيدتين :(اختيار الصديق والصفات التى يجب توافرها فيه)

يقول صالح بن عبد القدوس :عن كيفية معاملة العدو وضرورة اتخاذ الحذر والحيطة فى التعامل مع الآخر حتى يتبين الصديق من العدو ، وبيان الصفات التى يجب توافرها فى الصديق فيقول :–

٢٩) وابدأْ عَدوَّكَ بالتحيّةِ ولتَكُنْ منهُ زمانَكَ خائفاً تترقَّبُ

٣٠) واحذرهُ إن لاقيتَهُ مُتَبَسِّماً فالليثُ يبدو نابُهُ إذْ يغْضَبُ

٣١) إنَّ العدوُ وإنْ تـقـــادَمَ عـهدُهُ فالحقدُ باقٍ في الصُّدورِ مُـــــغيَّبُ

٣٢) وإذا الصَّـديقُ لقيتَـهُ مُتملِّقاً فهوَ العـــدوُّ وحقُّهُ يُـــتجـنَّبُ

٣٣) لا خيـــرَ في ودِّ امريءٍ مُتملِّقٍ حُلوِ اللســانِ وقلـبـهُ يتلـــهَّبُ

٣٤) يـلقـــاكَ يحلفُ أنـه بـكَ واثقٌ وإذا تـوارَى عنكَ فهوَ العـــــقرَبُ

٣٥) يُعطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حـلاوةً ويَروغُ منكَ كما يروغُ الثَّعـــــلبُ

٣٦) وَصِلِ الـكـرامَ وإنْ رموكَ بجفوةٍ فالصفحُ عنهمْ بالتَّجاوزِ أصـــــوَبُ

٣٧) واختَرْ قرينَكَ واصطفيه تفاخراً إنَّ القرينَ إلى المـُقارنِ يُـنـــسب

٣٨) ودعِ الكَذوبَ فلا يكُنْ لكَ صاحـباً إنَّ الـكذوبَ يشـــينُ حُراً يَصـــحبُ

نلاحظ فى هذه الأبيات أنه مازالت تسيطر علـــي الشـــاعر عاطفـــة الخوف والحذر والترقب والحيطة ممن حوله ،فبعد أن حذر من الدنيا والطمع فيها ،ومن غدر النساء وكيدهن ،أنتقل للحديث عن العدو والصديق المتملق وحذر منهما وبين كيفية معاملة العدو ،وأكد على أن يبدأ الإنســـان عـــدوه بالتحية والسلام ، ولكن يجب عليه فى نفس الوقت أخذ الحذر والحيطة منه، وعليه أيضا أن يترقب أفعاله، وأن لا يغتر بابتسامته، ولا ينخدع بها فهـــذه الابتسامة قد تخفى وراءها العداوة والبغضاء ، ثم دلل على ذلك بأن الليـــث يبدو نابه إذا غضب وكأنه يبتسم ،ثم ذكر الشاعر صفات العدو وعرج عليها بصفات الصديق المتملق الذى يتودد إلى صديقه فيظهر التواضع والاحتـــرام لصاحبه أمامه ، ويسبه فى غيابه، فلا خير فى ود شخص يتملق ،ولا خيـــر فى صديق حلو اللسان وقلبه يشتعل بنار الحقد والحسد ،فإذا لقيك يحلف أنه صاحبك وصديقك الذى يثق بك ،وإذا توارى عنك فهو كالعقرب فى ضـــرره وأذاه ،كما أنه يبدو أمامك الصديق المخلص المحب لك وذلك من خلال كلامه

المنمق الذي يظهر به خلاف ما يبطنه فهو يخادعك ويمكر بك كالثعلب فى مكره وخداعه وروغانه ، وللتعبير عن هذا المعنى استخدم الشاعر الفنون البلاغية التى تساعده على إبراز تلك المعانى ففى قوله " ابدأ عدوك بالتحية" أمر للنصح والإرشاد فهو يقدم للإنسان ما فيه الخير فى معاملته مع الآخر فمقابلة العدو بإلقاء التحية تقلل من شره وتقلم من أظفار حقده، فالإسلام دعانا إلى ذلك فقد قال تعالى:" ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"(فصلت ٣٤)

وقال – صلي الله عليه وسلم-:" أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " (١)

فالإسلام دعا إلى إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، فبالسلام تذهب الشحناء بين الناس، ويبعد المسلم عن الغرور ،وفيه جلب للحسنات ،وتعاون على البر والتقوى و غير ذلك كثير من فوائد السلام

أما قوله "ولتكن "فهى فعل مضارع مقرون بلام الأمر أى كن منه على حذر وترقب دائما ،فالشاعر هنا تسيطر عليه عاطفة الخوف والحذر والترقب ،فيطلب من السامع أو القارئ أن يقابل عدوه بالتحية حتى يأمن غدره ،ولكن لا يعطيه الأمان بل يظل يترقبه ويحذر غدره ، فهو مازال يقدم النصيحة ويرشد إلى ما فيه الخير ، فحذر من ابتسامة العدو فقال بأسلوب الأمر لغرض التنبيه والتحذير "واحذره إن لاقيته مبتسما" أى احترس من ابتسامته ولا يغرنك بها ،ثم أكد كلامه بعد ذلك بالتشبيه الضمنى فقال"فالليث يبدو نابه إذ يغضب " ،أى يظهر نابه كالمبتسم عند غضبه كالسبع، فشبه

(١) رواه مسلم فى صحيح مسلم فى كتاب ج١ ص ٤٤

ابتسامة العدو ضمنا والتى تحمل الحقد بداخلها بأنياب الليث التى تبدو حينما يغضب ، فيظنه من يراه أنه يبتسم ، على حين أنه على خلاف ذلك ،والشاعر لما أراد البرهان على كلامه لم يأت بالتشبيه على صورته المعروفة ،ولكنه أتى به ضمنا ،يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى عن التشبيه الضمنى وبلاغته وقيمته فى الأسلوب :(فهذا كله فى أصله ومغزاه وحقيقة معناه تشبيه ولكن كنى لك عنه وخودعت فيه وأتيت به من طريق الخلابة فى مسلك السحر ومذهب التخييل فصار ذلك غريب الشكل بديع الفن منيع الجانب لا يدين أحد) (١) .

هذا وقد ضرب الشاعر المثل بالأسد دون غيره من الحيوانات لأن هذه الصفة لا تكون لغيره من الحيوانات

وقد أشار الشاعر فى هذين البيتين إلى أن الشخص يجب ألا يخاصم عدوه ، ولا يحقره فى غيبته وإن كان حقيرا لئلا ينقض عليه، وكل هذا يدل على أن هذه النصائح مقدمة من إنسان محنك مجرب، ومحب ومخلص للآخرين .

ثم ذكر صفة أحري للعدو وهى أنه يكن الحقد فى صدره مهما طالت الأيام وأكد على هذا المعنى ب"إن" فقال"إن العدو وإن تقادم عهده"أى إن العداوة تظل باقية فى صدره وقلبه حتى وإن مر عليه الزمان ، فالعداوة قد تمكنت من قلبه وملأت نفسه ،ولذلك أكد على هذا المعنى بالمجاز المرسل فقال: "فالحقد باق فى الصدور مغيب "فهى مجاز مرسل علاقته المحلية حيث أطلق الصدور وأراد بها القلوب،لأن الصدور محل القلوب ،وفى ذلك من

(١) ينظر أسرار البلاغة ص ١١٧.

المبالغة ما فيه، وكأن الحقد قد تمكن من القلب وملأ النفس حتى أبى إلا أن يفيض ويتجاوز القلب ويعم الصدور ،وبهذا يتضح ما يضفيه هذا الأسلوب – المجاز المرسل – من قيمة بلاغية ،وما يضفيه أيضا على المعنى من حسن وبهاء وروعة وجمال، فبلاغة المجاز المرسل تتوافر فى تأكيد المعنى وتقريره فى النفس ؛لأنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان، وتصوير المعنى خير تصوير وأجمله ،وذلك بالإيجاز فى العبارة

وبعد أن تحدث عن العدو لحق به الصديق المتملق المنافق وحذر منه وأمر بتجنبه ، ثم أخذ يتحدث عن صفات من يجب البحث عنهم ومصادقتهم، فهم الكرام الذين يجب وصلهم حتى وإن جفوك وتركوك فعليك بالصفح عنهم وتجاوز زلاتهم .

و الشاعر فى هذه الأبيات استخدم أسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد فقال "وصل الكرام" ثم أتى بالاستعارة المكنية فى قوله "وإن رموك بجفوة " فشبه الجفوة التى قد تحدث من الكرام بشيء مادي يرمى به مما أفاد التجسيم والمبالغة فى أداء المعنى ،أى يجب تحمل الكرام حتى وإن حدث منهم ما يغضبك فعليك بالصفح عنهم، واستمر فى مصادقتهم وقوى علاقتك بهم .

ثم أكد على ضرورة البحث والتأني فى اختيار القرين فقال "واختر قرينك" فهو أمر للنصح والإرشاد، ثم بين السبب فى مصادقة الكرام ،وضرورة الدقة فى اختيار القرين فقال "إن القرين إلى المقارن ينسب" ،وهنا يضع قاعدة لها أصل فى الدين وهى أن الصديق ينسب لصديقه إن كان صالحا أو إن كان طالحا فقد قال أحد الحكماء :قل لى من تصاحب ؟ أقل لك من أنت؟ فالأصدقاء ثروة، فاكتنز منها ما استطعت ،ولا تعجز ؛قال الإمام

على رضى الله عنه " أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ،وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم " وقد ورد أيضا في الأثر "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"(١) ، وبين "القرين " و":المقارن" جناس ناقص ،والجناس أكسب المعنى حسنا وبهاء وشد انتباه السامع فجعله يصغى لفهم المعنى الذي يلقى عليه فيتأمل فيه يقول السيوطي : (فإن مناسبة الألفاظ تجد فيها ميلا وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معني ثم جاء والمراد به آخر ، كان للنفس تشوق إليه) (٢)

أما على بن أبى طالب فيقول فى هذا المعنى واعظا ابنه الحسين ناصحا له، مبينا أهمية الصديق والصفات التى يجب توافرها فى الصديق :-

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وكُنْ له ... كأبٍ عـــلى أوْلادِهِ يَتَحَـــدَّبُ(٣).

وَاجْعَلْ صَدِيقَـكَ مَـنْ إذا آخَيتَهُ ... حَفِظَ الإخَاءَ وكانَ دُونَكَ يَضْـربُ

وَاطْلُبْهُم طَـلَبَ المَرِيضِ شِفَاءَهُ ... وَدَعِ الكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يَصْـحَبُ

واحْفَظْ صَدِيقَكَ فى المَواطِنِ كُلهَا ... وعَلَيْكَ بالمَرءِ الذى لا يَـــكْذِبُ

واقْلُ الكَذُوبَ وَقُـــرْبَه وَجِوَارَهُ ... إنَّ الكَّذُوبَ مُلَـــطَّخٌ مَنْ يَصْحَبُ (٤)

يُعْطِيكَ مَا فَوقَ الْمُنَى بِلِسَـــانِهِ ... ويَروغُ منكَ كما يروغُ الثَّـــعلبُ

---

(١) رواه الترمذي ينظر صحيح الترمذي حديث رقم ٢٣٧٨ص٤٦٩..

(٢) ينظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق مركز الدراسات القرآنية ج ٥ ص ١٧٥٦ د ت

(٣) يتحدب : حدب علي الشيء أي تعطف وحنا أى تحنن واعطف لسان العرب مادة حدب .

(٤) قل الكذوب :أى ابغضه :قلي الرجل أى أبغضه ،و ملطخ : لطخ الثوب :لونه ينظر لسان العرب مدة قلى و لطخ .

وَاحْذَرْ ذَوِي المَلقِ اللِّئَامَ فإنَّهُمْ ... فى النَّائِبَاتِ عَلَـــيكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ

يَسْعُونَ حَولَ المَرءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ... وَإذَا نَبـــَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُـــوا

تمثل هذه الأبيات غرضا شعريا وتجربة من تجارب الحياة ،مزج"على رضى الله عنه" بينها وبين الحكمة بصورة فنية رائعة وهذا غـرض قـديم تناوله الشعراء ، فالأبيات كلها دارت حول موضوع واحـد وهـو تجربـة الشاعر ونصحه لابنه بالتمسك بالصفات الحسنة التى يجـب توافرهـا فـى الصديق المخلص ، والبعد عمن يتصف بالصفات السيئة كالنفـاق والكـذب ،وقد بدأت الأبيات بأسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد قـائلا " وَاخْفِـضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيق " فخفض الجناح من باب الاستعارة المكنيـة حيـث شـبه الإنسان بطائر ، كما أنها كناية عن التواضع والرحمـة والمعاملـة بـاللين والرفق مع الصديق، وهنا نجد تأثره بقول الله تعالى " واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين" (الشعراء ٢١٥)، ولم يكتف بذلك بل أمره فـى الشـطر الثانى من البيت بأن يكن لصديقه كأب يحنو علـى أولاده ويعطـف علـيهم ويحتضنهم ويصفح عن زلاتهم ، فقد شبه عطف الصـديق علـى صـديقه والوقوف بجواره ورعايته له بعطف الأب علـى أبنائـه واحتوائـه لهـم ورعايتهم ، ثم حدد من هو الصديق الذى يجب مصاحبته فقـال " مَـنْ إذا آخَيتَهُ حَفِظَ الإخَاءَ وكانَ دُونَكَ يَضْرِبُ " أى يحافظ على ما بينكم من صداقة وأخوة ويدافع عنك فى غيابك ، ويحامى عنك ،ثم أمر على كرم الله وجهه ابنه بالبحث عن الأصدقاء ،وأن يطلب الصديق ويبحث عنه كطلب المريض للشفاء، وهذا يدل على مدى أهمية الصداقة فى حياة الإنسـان ، فالصـداقة تسهم فى تدعيم أواصر العلاقات الاجتماعية والتعاون والتكافل بين الأفـراد ،كما أن الصديق إذا كان صالحا فإنه يعين صاحبه على العمـل الصـالح ،

وتظهر أهمية الصداقة وقت الشدة ،هذا وقد لعب التشبيه دوره فى بيان أهمية الصداقة وضرورة وجود الصديق فى حياة صديقه ، فشبه حاجة الصديق لصديقه كحاجة المريض للشفاء ،وكما يبحث المريض على الشفاء يبحث الإنسان عن صديق ذات خلق ودين .

وبعد أن بين حاجة الإنسان للصداقة ،ذكر الصفات التى يجب على الإنسان أن يبحث عنها فيمن يتخذه صديقا ،وأهمها الصدق ، فعليك بعدم مصاحبة الكذوب وأكد على ذلك بقوله:" وَدَعِ الكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يَصْحَبُ" وقال:" وعَلَيْكَ بالمَرءِ الذى لا يَكْذِبُ "وقال : واقْلُ الكَذُوبَ وَقُرْبَه وَجِوَارَهُ أى اترك الكذوب ولا تصاحبه وابغضه وابغض قربه وجواره ،فلا يكن لك صاحبا ولا جارا ولا تقترب منه ،ففى كل ذلك تنفير من مصاحبة الكذوب باستخدام أسلوب الأمر للنصح والإرشاد بتركه أو بغضه أو الابتعاد عنه ، وقد استخدم صيغة المبالغة فقال "الكذوب" أى كثير الكذب ،أو الذى اعتاد على الكذب، ثم بين السبب فى ذلك، بأن جعل مصاحبة الكذوب تعدى كما لو كان دنس أو نجس فإنه يلطخ من يصاحبه ،و كل ذلك باستخدام أسلوب الأمر الذي نفر وقبح مصاحبة الكذوب ،كما أن فى كل عبارة منها إيجاز بحذف المضاف أى : دع مصاحبة الكذوب ،و واقل مصاحبة الكذوب ، و أن مصاحبة الكذوب ملطخ ...الخ" وقوله : " مُلَطِّخٌ مَنْ يَصْحَبُ" يدل على أن الكذوب سينقل حالته ومرضه إلى من يصاحبه ، وقد عبر "صالح بن عبد القدوس" عن هذا المعنى فقال:

ودعِ الكَذوبَ فلا يكُنْ لكَ صاحباً إنَّ الكذوبَ يشينُ حُراً يَصحبُ

فنصح أيضا بعدم مصاحبة الكذوب ،لأن ذلك يعيب صاحبه ،كما نصح أيضا بالتروي عند الكلام وقبل النطق به ،ونهى عن الإكثار من الحديث

فى كل زمان ومكان ،وقد استخدم أسلوب الأمر والنهى للنصح والإرشاد فقال "ودع الكذوب" و" ولا يكن لك صاحبا" مما أفاد التنفير من مصاحبة الكذوب والبعد عنه ،فهل هناك شر من الكذب ؟ ولا أسوأ طبعا من الكذاب، فالشاعران أمرا بعدم مصاحبة الكذاب ،فاستخدما أسلوب الأمر للنصح والإرشاد وأصابا فى ذلك لأن الغرض الأصلي للقصيدتين هو الوعظ والنصح والإرشاد ، واكتفى صالح بن عبد القدوس بالأمر بترك الكذوب فقط وجعله يعيب من يصاحبه ،لأن القرين إلى المقارن ينسب كما قال فى البيت السابق لهذا البيت ، أما الإمام على – رضى الله عنه – فقد حذر ابنه من مصاحبة الكذوب وقربه وجواره ، فأمر ابنه ببغض الكذوب وبغض قربه وجواره ، وجعل الكذوب مريض وسينقل هذا المرض والداء لمن يصاحبه ، ونلاحظ التشابه فى المعنى بين "صالح بن عبد القدوس" و"على بن أبى طالب" مما يعكس تأثر "صالح بن عبد القدوس "بقصيدة "على بن أبى طالب ".

كما نلحظ تأثر "صالح بن عبد القدوس "بـ"على بن أبى طالب " فى أن عليا جعل الكذب مرض ومن يتصف به يعدى من يصاحبه – كما ذكر ذلك آنفا– أما صالح ابن عبد القدوس فقد جعل مصاحبة اللئيم تعدى كما يعدى الصحيح الأجرب فقال :

واحذرْ مُصاحبةَ اللئيم فإنّهُ يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ

فحذر من مصاحبة اللئيم ؛لأنه يعدى بلؤمه كما أن الأجرب يعدى السليم المعافى ،فقد يتصف من يصاحب اللئيم باللؤم مثله ولهذا حذر من مصاحبة اللئيم بل أنه نفر منها باستخدام التشبيه التمثيلي حيث شبه حال الإنسان الصالح عند مصاحبته للطالح وتأثيره السلبي عليه بحال مصاحبة الإنسان السليم الصحيح بالمريض بالجرب وتأثيره عليه بالعدوى ، وقد

وضح الشاعر بالتشبيه أن مصاحبة اللئيم لها تأثير سلبى على من يصاحبه وحذر منها بأسلوب الأمر فى بداية البيت بقوله "واحذر مصاحبة اللئيم"، ولا شك أن التشبيه التمثيلي الذى لجأ إليه الشاعر قد قصد به تقريب المعانى المدركة بالمعقول فى صورة محسوسة ، من أجل فهم المعنى المطلوب ، ومن أجل تصويره ، ومن أجل أن يقع فى الذهن موقعا يؤثر فيه ، وهذا التشبيه يوحى بمدي النتائج السيئة التى تعود على من يصاحب اللئيم ،إلى جانب ما فى التشبيه من تنفير النفس من هذا العمل ، فالتشبيه التمثيلي عموما يصنع فى النفس صنيع السحر، وكان للإمام عبد القاهر فضل تقرير ذلك قبل أن يقرره علماء النفس والتربية بزمن بعيد [١] (فالتمثيل ينقل الفكر من الخفي إلى الجلي ، والمعروف أن العلم المستفاد من طريق الحواس يفضل العلم المستفاد من جهة الفكر والعقل ،ولأن التمثيل يجمع بين أمرين متنافرين مختلفين وذلك لأن التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كان إلى النفوس أصعب وكانت النفوس لها أطرب)[٢] هذا والتشبيه يحتاج إلى الفكر وإعمال الروية وتحريك الخاطر "[٣] .

وإلى جانب هذه الصورة البيانية التى اشتمل عليها البيت فقد اشتمل أيضا على محسن بديعى وهو الطباق بين "الصحيح" و"الأجرب" الذى أكد المعنى ووضحه .

---

(١) ينظر أسرار البلاغة ، مواقع التمثيل وتأثيره ص ٩٢ وما بعدها .

(٢) ينظر البيان فى ضوء أساليب القرآن د عبد الفتاح لاشين من ص ٦١: ص ٦٤ بتصرف .

(٣) ينظر المرجع السابق ص ١١٨ وما بعدها .

فالشاعران قد اتفقا على التعبير عن معنى واحد وبصورة بيانية واحدة ،كما ظهر أثر الحديث النبوي الشريف عليهما ،وهو قول النبي – صلى الله عليه وسلم– (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)[١]

ثم بين "على رضى الله عنه" لابنه وهو يعظه منفرا له من مصاحبة الكذوب، أن الكذوب يتصف بالخداع والمراوغة ،فشبه الكذوب الذي يمنى صاحبه بالوعود والأحلام والأماني ، ثم يراوغه ويخادعه ولا يستطيع تحقيق ما وعد به ، فشبهه فى ذلك بالثعلب فى مكره ومراوغته وخداعه ،و قوله "ويروغ منك كما يروغ الثعلب" فهو تشبيه تمثيلي ،حيث شبه هيئة المنافق فى أقواله وأفعاله وتقلباته، بالثعلب فى مكره وخداعه وروغانه ، وذكر الثعلب لأنه ضرب به المثل فى شدة المكر والخداع والحيلة،فمن حيلته فى طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه حتى يظن أنه قد مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وهكذا الصديق المتملق المنافق يظهر الحب والود ولكنه يخفى الكره والحقد، وإذا واتته الفرصة انقض على الصديق وأظهر حقيقته ،وحذره أيضا من المتملق الذى يتودد إليه، ويتذلل له ويبدى له بلسانه من الإكرام والود ما ليس فى قلبه ،فإذا نبا عنه فإنه يتكلم ضده ويشهر به فى النائبات بعد أن كان يتملقه وقت الرخاء .

وقد تأثر "صالح بن عبد القدوس" بهذا المعنى وعبر عنه وزاد عليه، فوضع بعض المعايير فى اختيار الأصدقاء فقال :

---

(١) ينظر صحيح البخارى حديث رقم (٥٥٣٢) ومسلم حديث رقم (٢٦٢٨)

٣٢) وإذا الصَّديقُ لقيتَهُ مُتملِّقاً فهوَ العدوُّ وحقُّهُ يُتجنَّبُ

٣٣) لا خيرَ في ودِّ أمريءٍ مُتملِّقٍ حُلوِ اللسانِ وقلبهُ يتلهَّبُ

٣٤) يلقاكَ يحلفُ أنه بكَ واثقٌ وإذا توارَى عنكَ فهوَ العقرَبُ

٣٥) يُعطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حلاوةً ويَروغُ منكَ كما يروغُ الثَّعلب

فبعد أن تحدث الشاعر عن العدو لحق بالعدو الصديق المتملق الذي يتودد إليك ويتلطف ،ولكنه يظهر خلاف ما يبطن، فيعطى بلسانه ما ليس فى قلبه ،فيجب أن تتجنبه كما تتجنب العدو ، فلا خير فى صديق متملق حلو اللسان وقلبه يمتلئ بنار الحقد والحسد، وإذا لقيك يحلف أنه صاحبك وصديقك الذى يثق بك ،وإذا توارى عنك وابتعد فهو كالعقرب فى ضرره ، حيث يغدر بك ،وإذا تحدث إليك وجدت الحلاوة والحسن فى حديثه، وتسمع لقوله كما يحدث مع المنافقين ،وهو فى نفس الوقت يروغ منك كما يروغ الثعلب ،وللتأكيد على هذا المعنى استخدم الشاعر عدة مؤكدات منها أسلوب القصر فى قوله"فهو العدو" فهو قصر بالضمير حيث قصر العداوة على المتملق وكأنه يقول لا عدو إلا المتملق ، وهو قصرا إضافيا، كما أن فى العبارة تشبيه حذف منه الوجه والأداة، حيث شبه الصديق المتملق بالعدو فى امتلاء قلب كل منهما بالحقد والبغضاء والكراهية ،وكذلك الطباق بين "الصديق" و"العدو" أكد المعنى، فالطباق يؤكد المعنى ويقويه ،ثم أتى بعد ذلك بـ "لا" النافية للجنس فى قوله "لا خير فى ود امرئ متملق" فنفى جنس الخير عن ذلك الصديق المتملق ، ،كما أكد الكلام أيضا بأسلوب المقابلة بين قوله: " حلو اللسان " وقوله: "قلبه يتلهب"، وأسلوب المقابلة قد وضح المعنى وأكده لما هو معلوم من أن المقابلة تزيد المعاني وضوحا فى الفكر ورسوخا فى النفس .

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم فى هذا البيت فقد اقتبس هذا المعنى من قول الله تعالى :" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ"(البقرة ٢٠٤) وقوله تعالى : "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ"(المنافقون ٤).

وفى قوله "وقلبه يتلهب" استعارة مكنية ،حيث شبه القلب بشىء مادى يشتعل ويلتهب فأفاد التجسيم ، وبذلك استطاع الشاعر أن ينقل المعنوى إلى حسي فى صورة مجسدة وحية ،وقد أعانه على ذلك ما تتميز به الاستعارة من قدرة على الإيحاء من خلال الإيجاز والمبالغة ،كما أنه دل على عدم الأخذ بالظاهر ، ثم أتى بالأفعال المضارعة "يلقاك ،يحلف ، يروغ "وكلها تفيد التجدد و الاستمرار ،أما قوله " وإذا توارى عنك فهو العقرب " فقد شبه الصديق المتملق المنافق بالعقرب فى لدغه وغدره ،وخص العقرب بالذكر دون سائر الحيوانات لشدة ضررها فهى تقتل الفيل والبعير وللتأكيد على المعنى استخدم أسلوب القصر فقوله:"فهو العقرب" أسلوب قصر طريقه توسط ضمير الفصل ،أى لا عقرب إلا الصديق المتملق ،واستخدم الشاعر الطباق بين قوله "يلقاك" وقوله "توارى " للموازنة بين حالتى الصديق المتملق الذى أمامك يحلف أنه يثق بك ويحبك ،وإذا توارى عنك كان كالعقرب فى ضرره وأذاه ،وكالثعلب فى غدره ومكره ،والتصوير عن طريق الموازنة يجعلنا نشعر بما يوحى به البيت من تقلب الصديق المتملق فى المشهد والمغيب .

أما قوله " يعطيك من طرف اللسان حلاوة "فهى توحي بالنفاق والتملق والكلام الزائف.

وهكذا وجدنا أن "صالح بن عبد القدوس" تأثر بقصيدة الإمام "على" -رضى الله عنه -وأتى بنفس المعنى وعبر عنه بنفس الألفاظ مستخدما نفس الصور البيانية ، فالشاعران كلاهما أجاد فى بيان صفات الصديق التى يجب على الإنسان أن يبحث عنها فيمن يتخذه صديقا ،فالإمام "على رضى الله عنه" نصح ابنه أن يبتعد عن الكذاب ،والمتملق وشبه الكذوب بالثعلب فى مكره وخداعه ،وصالح بن عبد القدوس فى أبياته أمر بالبحث عن الكرام حتى وإن جفوا وبعدوا فالصفح عنهم والتقرب لهم أفضل،كما أمر باختيار الصاحب والبحث عنه ،وأن يختار الصادق الودود وبين السبب فى ذلك فقال "إن القرين إلى المقارن ينسب "فاتفقا الشاعران فى أن القرين ينسب لقرينه ،فإن كان صادقا اتصف الآخر بالصدق ،وإن كان كذابا فإنه يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب ،كما اتفق الشاعران فى وصف المتملق بالثعلب ، وزاد ابن عبد القدوس بأن وصف المتملق كالعقرب إذا توارى ، مما يدل على اتخاذ الحيطة والحذر عند اختيار الأصدقاء.

ثم يتحدث "صالح بن عبد القدوس "عن مقاييس الناس فى الحكم على الآخرين ، فهم يستقبلون الغنى أحسن استقبال ويكرمونه ويرحبون به ويقومون للسلام عليه ،على العكس من الفقير فإنه – وإن كان شريفا ذا حسب ونسب– يهون على الناس بسبب فقره ،فإنهم يرون أن الفقر عيب كبير ويسترسل فى هذا المعنى قائلا:

٣٨) إنَّ الغنيَ من الرجالِ مُكرَّمٌ وتراهُ يُرجى ما لديهِ ويُرهبُ

٣٩) ويُبَشُّ بالتَّرحيبِ عندَ قدومِهِ ويُقامُ عندَ سلامِهِ ويُقرَّب

٤٠) والفقرُ شينٌ للرِّجالِ فإنه حقاً يهونُ به الشَّريفُ الأنسبُ

٤١) واخفضْ جناحَكَ للأقاربِ كُلِّهمْ بتـذلُّلٍ واسمحْ لهـمْ إن أذنبـــو

٤٢) وزنِ الكلامَ إذا نطقتَ ولا تكــنْ ثـرثارةً فـي كلِّ نادٍ تخطُـــبُ

٤٣) واحفظْ لسانَكَ واحترزْ من لفظِهِ فالمرءُ ويُعطَبُ يَسلَمُ باللســانِ

٤٤) والسِّرُّ فاكتمهُ ولا تـنطُــقْ بـهِ إنَّ الزجاجةَ كسرُها لا يُشــعَبُ

٤٥) وكــذاكَ سرُّ المرءِ إنْ لـمْ يُطوهِ نـشرتْهُ ألسنةٌ تـزيدُ وتكــذِبُ

٤٦) لا تحرِصَنْ فالحِرصُ ليسَ بزائدٍ فى الرِّزقِ بل يشقى الحريصُ ويتعبُ

٤٧) ويظلُّ ملهوفاً يـرومُ تحيّــلاً والـرِّزقُ ليسَ بحيلةٍ يُســتجلَبُ

٤٨) كـم عاجزٍ في الناسِ يأتي رزقُهُ رغَداً ويُحرَمُ كَيِّسٌ ويُخيَّــبُ

فى هذه الأبيات يضع الشاعر مقاييس الناس فى الحكم على الآخرين ،فهم يستقبلون الغنى من الناس أحسن الاستقبال على العكس من الفقير فإنه يهون على الناس بفقره حتى وإن كان ذا حسب ونسب فهم يعدون الفقــر عيبا كبيرا ، يتقربون من الغنى ويبتعدون عن الفقير ،و مما لاشك فيــه أن الجمع بين المعاني المتضادة- داخل الجملة الشعرية- يخلق حركة مفاجئــة تثير التأمل وتنشط الشعور، وتزيد الفكرة وضوحاَ وتأكيــداً- هــذا ويأخــذ تشكيل الصورة بعداَ فنياَ أعمق وأرحب حين يؤكــد شــاعرنا عــن طريــق المقابلة بين نظرة الناس للغنى ونظرتهم للفقير ، وقد استخدم الشاعر فــن المقابلة للموازنة بين مقابلة الناس للغنى ومقابلتهم للفقير فقال " إن الغنــى من الرجال مكرم....البيت "وقال" والفقر شين للرجال فإنه.." فوضح المعنى ووازن بين معاملة الناس للغنى ومعاملتهم للفقير ،فالغنى مكرم من النــاس ومرحب به عند قدومه ،بالوقوف له عند السلام عليه ،بينما الفقير لا يجــد هذه الحفاوة عند الاستقبال حتى ولو كان شريفا فى قومه، وأسلوب المقابلة

(من الأمور الفطرية المركوزة فى الطباع التى لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ،إذ الضد أقرب ظهورا بالبال عند ذكر ضده)[١] ، كما يذكر ابن رشيق بلاغة المقابلة فيقول (مواجهة اللفظ بما يستحقه الحكم....، وأصلها ترتيب الكلام علي ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاَ ،وآخره ما يليق به آخراَ، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه)[٢]

وقوله " والفقر شين للرجال "تشبيه حذف منه الوجه والأداة حيث شبه الفقر بالعيب بل جعله العيب نفسه بحذف الوجه والأداة وهو أسلوب خبري أفاد التقرير والنصح للآخرين.

أما قوله "وزن الكلام" فهى استعارة مكنية حيث شبه الكلام بشىء مادى يوزن مما جسد المشبه ،وأكد أهميته ،وأبرز قيمته وبين أهمية التفكير فى الكلام قبل النطق به فلسان العاقل وراء قلبه ،وقلب الأحمق وراء لسانه فاحذر أيها الإنسان من زلات اللسان ، فقد يقوم من عثرت به قدمه ، ولا يقوم من عثر به لسانه .

وإذا كان الشاعر قد أمر بتدبر الكلام والتفكير والتأنى فى الكلام قبل النطق به، وهذا يستدعى أن يكون الإنسان قليل الكلام لذا قال :" ولاتكن ثرثارة " أى لا تكن كثير الكلام بدون وزن له ولا مراقبة لله تعالى ، فالثرثرة ما لم تكن فى إرشاد أو تعليم ووعظ وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، أو إصلاح فهى ضياع للوقت فيما لا يعنى بل ربما أدت الثرثرة إلى محرم

---

(١) ينظر الصبغ البديعى فى اللغة العربية د أحمد موسى ص ٤٨١ طبعة دار الكتاب العربى ١٩٦٦م

(٢) ينظر:- العمدة في محاسن الشعر والنثر- ابن رشيق القيرواني - تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد – ج٢ ص١٥ المكتبة التجارية ط٣ ١٩٦٣ م

أو مكروه، والعبارة تشبيه حذف منه الوجه والأداة ، أى لا تكن كالثرثارة الذى يكثر التحدث والكلام فيما يعلم وما لا يعلم ،والتشبيه أبرز الصورة ونقل المعنى فى بيان ووضوح .

ثم أمر بحفظ اللسان ؛لأنه قد يؤدى إلى هلاك الإنسان، وهو أعظم أعوان الشيطان ، وزلاته أقبح الزلات وآفاته أكبر الآفات فقوله "وأحفظ لسانك" أمر للنصح والإرشاد، وهى كناية عن ضرورة التفكير فى الكلام قبل النطق به ، ثم أكد على الكلام بالاستعارة المكنية فقال "واحترز من لفظه" استعارة مكنية حيث شبه اللفظ الذى يحاسب عليه الإنسان بعدو يجب الاحتراز منه ،والاستعارة أفادت تشخيص المشبه مما أكد أهميته وأبرز قيمته .،ثم أتى بالسبب الذى من أجله يجب على الإنسان أن يأخذ الحذر والحيطة عند الكلام فقال "فالمرء يسلم باللسان ويعطب" أى يسلم إن تكلم بخير ويعطب إن تكلم بشر، فجعل سلامة الإنسان فى سلامة لسانه وطيب حديثه ،وفساد الإنسان بسوء حديثه وسوء خلقه ،والعبارة تحمل فى طياتها معان كثيرة ، ففيها إيجاز بالقصر، ففى حفظ اللسان كسب لرضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكسب محبة الناس ،فمن يحفظ لسانه يكن محبوبا مرغوبا فى كل مكان ، كما أنه يكسب ثقة الناس به؛لأن من يحفظ لسانه قليل خطأه ، وحفظ اللسان أيضا يجعل صاحبه قدوة صالحة لغيره .

أما فى عدم حفظ الإنسان للسانه فإن فيه هلاكه، ففيه غضب لله تعالى ورسوله الكريم ، وفيه أيضا نفور الناس من الإنسان البذيء، فيصبح مكروها غير مرغوب فيه ،كما أن عدم حفظ اللسان يقلل من قيمة الشخص ومقداره، وصاحب اللسان السيء الذى لا يحترز من لفظه دائما يشعر بالندم والحسرة؛ لأن الكلمة إذا خرجت لا تعود ،ودائما الحق عليه وليس له ،كل

هذا المعنى وزيادة عبر عنه الشاعر بقوله "فالمرء يسلم باللسان ويعطب"، ولا يخفى ما فى الجملة من الطباق بين "يسلم" و"يعطب" الذى أكد المعنى ووضحه .

ثم أمر بكتمان السر وجعله من الأمور العظام فقال "والسر فاكتمه" وهو أمر علي سبيل النصح والإرشاد وأكد بالنهى أيضا على كتمان السر وعدم النطق به فقال "ولا تنطق به"، ومبالغة فى ضرورة كتمان السر أتى بالتشبيه الضمنى فقال "إن الزجاجة كسرها لا يشعب" فشبه إفشاء السر وعدم كتمانه وانتشاره بين الناس مما يجعلنا لا نستطيع التحكم فيه بالزجاجة التي إن كسرت فإن كسرها لا يجبر ،وأكد على هذا المعنى بالبيت اللاحق لهذا البيت فقال " وكذاك سر المرء .....البيت" أى إذا لم يطوى الإنسان سره انتشر بين الناس وأصبح كالزجاج يشف ما تحته وإذا انكسر لا يجبر ولا يجمع مرة أخرى والسر إن لم يطوه صاحبه نشرته ألسنة الناس التى قد تزيد وتكذب به فلا يستطيع المرء منعهم من نشره ،وقوله "والسر إن لم يطوه" استعارة مكنية حيث شبه السر بشيء يطوى فجعل الأمور المعنوية فى صورة حسية ،والشاعر يهز الوجدان بهذه الصورة البيانية حتى يجذب القارئ أو السامع إليه بلطف ،ولذلك ابتعد عن الأسلوب التقريري ولجأ إلى التصوير البياني ، وقوله "تشرته ألسنة" مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وهو اللسان وأراد الكل وهو الإنسان لما للجزء من أهمية فى هذا الشأن .

ثم تحدث عن مسألة الرزق ،وأمر بعدم الحرص فى طلبه، فقال " لا تحرصن "ثم بين السبب فى ذلك فقال "فالحرص ليس بزائد فى الرزق ...البيت" فبين الجملتين شبه كمال اتصال حيث وقعت الجملة الثانية جوابا

عن سؤال اقتضته الجملة الأولى ،وكأن سائلا سأل لما ذالا نحرص ؟فجاءت الثانية جوابا عن هذا السؤال ،أى لأن الحرص لا يزيد فى الرزق شيئا بل يؤدى إلى الشقاء والتعب، ثم أكد بالبيت اللاحق أن الرزق مقدر ولا حيلة للإلحاح فى طلبه ،ثم أتى بالدليل والبرهان على ذلك من الحياة، فذكر أن العاجز يأتيه رزقه رغدا طيبا ،بينما يحرم العاقل اللبيب القوى القادر على الأخذ بالأسباب، وعبر عن استمرار الإنسان فى طلب الرزق بالتحايل على ذلك فقال " ويظلُّ ملهوفاً يرومُ تحيّلاً"، أى يستمر فى طلب الرزق بالتحايل واللج فى طلبه مع أن الرزق ليس بحيلة يستجلب ،فعلى الإنسان السعي وعلى الله الرزق ، هذا وقد اشتملت الأبيات على أسلوب المقابلة الذى أكد المعنى ووضحه من خلال المقابلة بين العاجز الغنى واللبيب العاقل الذى حرم من المال ،وقد أتى بالطباق بين ألفاظ الأبيات لتوكيد المعنى وترسيخه فى الأذهان فقال "لا تحرصن ، فالحرص ، كيس ،وعاجز ويأتي ، ويحرم .

وأرى أن الشاعر قد جانبه الصواب فى هذا التعبير ؛فلا أحد ينكر أن للحظ دورا فى مسألة الرزق، وأن الغنى قد يكون من نصيب من لم يسع وراءه ، كما أن الفقر والحرمان قد يصيبان المجتهد الناشط وراء الكسب ،إلا أن هذه ليست القاعدة ،بل القاعدة أن النشاط مظنة الكسب والكسل والتبلد مظنة الفقر والحاجة ،ولو جرى الناس على نصيحة ابن عبد القدوس ما كان عمل ولا إنتاج ولا إبداع ولعاشت البشرية كلها فى فقر مدقع ،بل لمات أفرادها جميعا من الجوع والعطش والعرى ما داموا لا يبذلون جهدا، ولا يؤدون عملا ،اقتناعا منهم بتلك العقيدة ،كما أن الحرص ليس شيئا معيبا ،بل صفة ايجابية مطلوبة حسنة ،اللهم إلا إذا زاد الحرص وجاوز حد

المعقول ،وأصبح مصدرا لقلق صاحبه ،يحرمه النوم وراحة البال ،فالحرص مطلوب ولكن الإيمان بالله مطلوب إلى جانبه بحيث لا يحمل الحريص نفسه هما وغما إذا لم تسر الأمور على ما يرام مما لا تعرفه الحياة ولا تسير على أساسه .

وعلى كل حال ها هو صالح بن عبد القدوس يرى شيئا مختلفا عما ذكره فى الأبيات فقد قال بعد ذلك :

وإذا رأيتَ الرِّزقَ عَـــزَّ ببلدةٍ وخشيتَ فيها أن يضيقَ المذهبُ

فارحلْ فأرضُ اللهِ واسعةَ الفَضَا طولاً وعَرضاً شــرقُها والمغربُ

فهو هنا يقول شيئا مختلفا عما ذكره من قبل ،فهنا يأمر بالحركة والنشاط وهجرة الأماكن الضيقة الرزق إلى أخرى أوسع رزقا وأفسح مذهبا ،ولو أُتبع مذهبه لبقى حيث هو مهما شح الرزق وضاق الفضاء وحاصر الفقر الإنسان من كل ناحية ،على أنه لا ينبغى أن تكون نظرة الإنسان من الضيق بحيث لا يرى سوى وضعه الفردى ، إذ هناك الرزق العام الذى تُرزقه الأمة ،وهو محصلة عمل أفرادها جميعا ،ومن ثم لا يصلح أن يتقاعس الإنسان بحجة أنه قانع بالقليل ،وإلا افتقرت الأمة واعترتها الضعف والهوان ،وفى البيتين يدعو الشاعر إلى طلب الرزق والسعي والترحل والانتقال من بلد إلى أخري فى سبيل تحصيل الرزق ،فإذا وجد الإنسان أن الرزق قد ضاق بمكان فعليه أن يرحل لمكان آخر ،فأرض الله واسعة، وفى هذا إشارة إلى أن السفر لتحصيل الرزق مطلوب ،فينبغي للشخص أن يجتهد فى تحصيل الرزق ولو تغرب وابتعد عن الأوطان ،وفى التعبير عن ذلك استخدم الاستعارة المكنية فى قوله" وإذا رأيت الرزق عز ببلدة "فشبه

الرزق بشيء غال يعز ويندر ،والاستعارة أفادت التجسيم للأمور المعنوية وجعلها فى صورة حسية .

كما استخدم الفعل الأمر فقال:" فارحل " لغرض الحث على الرحيل والانتقال ومغادرة الأوطان إذا عز الرزق ، فلا تقعد فى أرض الضيق وبلاد الله واسعة ، فربما خرجت من بلدك لضيق الرزق فيه، ويفتح الله عليك فى بلد أخري ، أما قوله "فأرض الله واسعة "فإنها توحي بتعدد وسائل الرزق ،فهى كثيرة ومتعددة ،وعلى الإنسان البحث والسعى وراء الرزق ويؤكد هذا قوله تعالى " فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور " (الملك ١٥)، ثم أكد على ذلك بأن ختم البيت بالطباق فى قوله "طولا وعرضا شرقها والمغرب" ،والتضاد من الأمور الفطرية التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ، إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده .

وبعد أن تحدث الشاعر عن البحث عن الصديق والتأنى فى اختياره ، والبعد عن مصاحبة المتملق، و حفظ اللسان وعدم الثرثرة ،ومسألة الرزق والبحث عنه ، بدأ يتحدث عن بعض الصفات التى يجب أن يتحلى بها الإنسان فقال :

٥٠) وارعَ الأمانةَ ، والخيانةَ فاجتنبْ ... واعدِلْ ولا تظلمْ يَطبْ لكَ مكسَبُ

٥١) وإذا أصابكَ نكبةٌ فاصبرْ لها ... من ذا رأيتَ مسلَّماً لا يُنْكبُ

٥٢) وإذا رُميتَ من الزمانِ بريبةٍ ... أو نالكَ الأمرُ الأشقُّ الأصعبُ

٥٣) فاضرعْ لربّك إنه أدنى لمنْ ... يدعوهُ من حبلِ الوريدِ وأقربُ

٥٤) كُنْ ما استطعتَ عن الأنامِ بمعزلٍ ... إنَّ الكثيرَ من الوَرَى لا يُصحبُ

٥٥) واحذرْ من المظلومِ سَهماً صائباً ... واعلمْ بأنَّ دعاءَهُ لا يُحجَبُ

٥٦) فلقدْ نصحتُكَ إنْ قبلتَ نصيحتي فالنُّصحُ أغلى ما يُباعُ ويُوهَبُ

تدور هذه الأبيات حول التمسك بالصفات الحسنة ،والتحذير من الصفات السيئة ،فبعد أن ساق الشاعر بعض النصائح والتجارب التى مرت به فى حياته ،يأمر هنا بحفظ الأمانة، ويحذر من الخيانة، كما أمر أيضا بالعدل وضرورة الاتصاف به حتى يطيب كسب الإنسان وحياته، فالأمانة والعدل دعامتان من دعائم المجتمع الفاضل ،فما أكرم المجتمع الذى يأمن الناس فيه بعضهم بعضا ، وما أعظم المجتمع الذى يسود فيه العدل ، وللتأكيد على هذه المعانى بدأ الشاعر أبياته بالجمل الإنشائية فأتى بأسلوب الأمر فى قوله "وارع الأمانة، والخيانة فاجتنب ، واعدل " للنصح والإرشاد ،كما أتى بالنهى الذى أفاد التحذير فقال " ولا تظلم"، وأكد المعنى كذلك بأسلوب المقابلة بين قوله" وارع الأمانة "وقوله" والخيانة فاجتنب " والجملتان استعارتان مكنيتان حيث شبه الأمانة بشيء مادى يرعى ،وشبه الخيانة بشيء مادى يجتنب ،وهذا أفاد التجسيم للأمور المعنوية وجعلها فى صورة حسية، وقد أتى الشاعر بلفظ "الأمانة" معرفة للتعظيم ،كما أنها توحى بحب الشاعر الشديد لهذه الصفة ،فهى صفة الرسل والأنبياء، أما "الخيانة " فقد جاءت معرفة للتحقير ولتوحى بأنها صفة مذمومة .

وتبدو فى هذا البيت ثقافة الشاعر الدينية وتأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فمضمون البيت مستمد من قوله تعالى " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" (النساء ٥٨) وقول النبيى صلى الله عليه وسلم "أد الأمانة لمن

ائتمنك ولا تخن من خانك "[١] ،وقوله صلى الله عليه وسلم فى الأمر بالعدل" اتق الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[٢]

فالأمر بالعدل ينبغي أن يكون بين الناس جميعا ،فهو أساس الحكم فى الإسلام ، وقيمة أخلاقية عليا، فمهمة الرسل تحقيق العدل ،وقد أمر المسلمون وخاصة الولاة والقضاة بالعدل فى الأحكام والأقوال .

وفى البيت التالى يأمر الشاعر بالصبر على البلاء ويعلل ذلك بأن الناس لا تسلم من البلاء حتى الأنبياء فيقول " وإذا أصابك نكبة فاصبر لها .....البيت" ،فالشاعر يجد فى الصبر متنفسا فى حال إصابة الإنسان بنكبة أو بلاء ، وينصح ويرشد بأسلوب الأمر فيقول "فاصبر لها " و" فاضرع لربك" فأمر بالصبر والتضرع واللجوء إلى الله تعالى ؛لأنه أقرب إلينا من حبل الوريد ،وبهذا يدلنا ويرشدنا إلى ما يجب علينا إتباعه عند المصائب .

وقوله "وإذا أصابك نكبة ....البيت "أسلوب شرط مكتمل الأجزاء ،وقوله "من ذا رأيت مسلما لا ينكب" أسلوب استفهامي غرضه النفي ،أى لا يوجد من لا ينكب ، ، فمن أصيب بنكبة فليلجأ إلى الله تعالى ، وليتأسي بالصالحين ، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

أما قوله:" وإذا رميت من الزمان بريبة "فهي أسلوب استعاري حيث اشتملت الجملة على استعارتين مكنيتين ،الأولى فى تشبيه الزمان بإنسان يرمى غيره وسر جمالها التشخيص ، والاستعارة الثانية فى تشبيه الشاعر "الريبة" بسهم يرمى به وسر جمالها التجسيم للأمور المعنوية وجعلها فى

(١) رواه الترمذى ج ٣ ص ٥٦٤

(٢) رواه مسلم ينظر صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٦١ حديث رقم ٢٥٧٨

صورة حسية إلى جانب ما فيها من إيحاء بتقلبات الدهر ، والبيتان "وإذا أصابك نكبة فاصبر لها ....البيت" وقوله " وإذا رميت من الزمان بريبة ...البيت" أسلوب شرط جوابه قوله " فاصبر لها ، وفاضرع لربك ..." وهو نتيجة لهما .

وهذه الأبيات من الأبيات التي تدل على ثقافة الشاعر الدينية وتأثره بالقرآن الكريم ،فقوله "فاضرع لربك " هذه العبارة مستمدة من قول الله تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ " (البقرة ١٨٦)،أما الشطر الثانى من البيت فمقتبس من قوله تعالى " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد "(ق ١٦) .

وكما تأثر الشاعر فى معنى أبياته بالقرآن الكريم تأثر أيضا بالحديث النبوى الشريف فقوله:" "وإذا أصابك نكبة ....البيت " يبدوا أنه استمد معني هذا البيت من رواية مصعب ابن سعد عن أبيه قال :" يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ ،قال : الأنبياء ،ثم الأمثل ،فالأمثل ،ويبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء حتى يدعه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة)[١]

ثم يأمر الشاعر على سبيل النصح والإرشاد بالابتعاد عن الناس وطلب العزلة ،وهو يرى أن الكثير منهم لا يستحق الصحبة ، والإنسان قد يحتاج إلى العزلة ليجد الفرصة للتأمل ، ومراجعة تصرفاته،

ثم حذر الشاعر من الظلم وجعل دعوة المظلوم كالسهم الصائب فهى لا ترد ولا تحجب فقال :"واحذر من المظلوم سهما صائبا...البيت "فبدأ البيت بأسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد والتحذير من الظلم والتخويف من

(١) رواه البخاري ٥ / ١٢٣٩

دعوة المظلوم فشبه دعوة المظلوم بسهم صائب ثم حذف المشبه وأبقى على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ،وهو هنا يرسم صورة المظلوم وكأن معه سهاما يصيب بها من ظلمه ،والاستعارة هنا توحى بعظم الدعاء وقوة تأثيره وخاصة دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، وقد أتى بكلمة "سهما" نكرة لتفيد الترهيب ،وقوة التأثير .

أما قوله " واعلم بأن دعاءه لا يحجب "فهو أمر غرضه التخويف والترهيب والتحذير من دعوة المظلوم ، وهنا يظهر مدى تأثر الشاعر بقول النبي صلي الله عليه وسلم :" اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " (١) .

ومن المشترك بين القصيدتين ما ختمت به القصيدة فقصيدة على رضى الله عنه ختمت بقوله :

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إن قَبِلْتَ نَصيحَتِى والنُصْحُ أَرخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

وقصيدة صالح بن عبد القوس ختمت بقوله :

فلقدْ نصحتُكَ إنْ قبلتَ نصيحتي فالنُّصحُ أغلى ما يُباعُ ويُوهَبُ

فكلا منهما قد ختم قصيدته ببيان أنه قد قدم فى هذه القصيدة مجموعة من النصائح والتجارب التى مرت به فى حياته وأن هذه النصائح هى نصائح غالية ؛لأنها من حكيم مجرب محب للآخرين ،ولك أن تتقبلها ،ولك غير ذلك ،فإن قبلتها فهى أغلى ما وهبته لك لأنني أخلصت فى نصحى وقوله :" والنصح أغلى ما يباع " استعارة مكنية حيث شبه النصح بشىء مادى ثمين يباع ويشترى مما جسد المشبه وأكد أهميته ، وأبرز قيمته .

---

(١) رواه البخاري ٢/ / ٨٦٤،٥٤٤،ج٣ص ١١٣

ولكن بيت "على" فيه "أرخص ما يباع" أما بيت صالح فهو "أغلى ما يباع " وقول صالح بن عبد القدوس أفضل وأولى وهو المختار فلوأن عليا رضى الله عنه قال " أثمن ما يباع " أو "أغلى ما يباع" لكان أحكم فى الصياغة ،ولعله أراد أن النصح لا يكلف شيئا فى إلقائه إلى الآخرين

وهكذا عشنا مع قصيدة "صالح بن عبد القدوس " التى تعد من أروع ما قيل فى باب الحكمة ،والتى ختمها بصدق مشاعره وحسه العميق بالمسؤولية تجاه الآخرين من خلال بث نصائحه المستخلصة من قسوة الأيام وتجارب الحياة وتراكم الخبرات ،وبحب صادق للآخرين انتقل شاعرنا فى قصيدته من نصح إلى آخر ومن حكمة إلى أخري فى جميع مناحى الحياة،فلم يترك خيرا إلا ودعا إليه ولم يترك سوءا إلا وحذر منه ،وقد وازنت بينها وبين قصيدة للإمام على رضى الله عنه فى نصحه ووعظه لابنه الحسين رضى الله عنهما ، وقد أجاد الشاعران فى اختيار الوزن والقافية فالقصيدتان من بحر الكامل ،وبحر الكامل مفتاحه : كمل الجمال من البحور الكامل ،وهو من البحور السخية النغم لطوله ،مما يتيح للشاعر أن ينظم فى شتى الأغراض التى تحتاج إلى طول نفس ،كما أنه يمتاز عن غيره بما له من قوة وبهاء ،فاختيار الشاعر له يتناسب مع الغرض الشريف الذى نظم فيه – النصح والوعظ والحكمة – وقد خدم هذا البحر حرف الروى المطلق "الباء المضمومة " وما لقافية الباء من دلالة صوتية ،فهو صوت مهموس ، والشاعر يريد أن يهمس بهذه النصائح فى أذن الآخرين حتى لا تغيب هذه النصائح عن الناس ،وجاءت الألفاظ سهلة واضحة قريبة من العامة ،كما نلحظ الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية .

فالمعانى فى القصيدتين مختارة ومنتقاة ومناسبة للغرض الذى قيلت فيه ألا وهو الوعظ والنصح والإرشاد ،وهى مؤثرة فى نفس قارئها وسامعها ،فهى تزلزل القلوب بقوتها وتأثيرها، ونلاحظ من خلال المعانى التى تعرض لها الشاعران أن كلاهما يذم الكذب ويحذر من مصاحبة الكذوب، و مصاحبة اللئيم ، ويدعو إلى التأني فى اختيار الصديق.

ومن ناحية الأسلوب فأسلوب الشاعران يتناسب مع موضوع النصح والوعظ ، ولقد تنوع الأسلوب فى القصيدتين بين الخبري والإنشائي مع كثرة أسلوب الأمر والنهى فيهما ليتناسب مع الغرض الذى قيلت فيه القصيدة .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قصيدة من أعظم القصائد التى قيلت فى الحكمة فى أدبنا العربى ،وقد نظمها الشاعر فأجاد ،وقال فأوجز، ونصح فأخلص ،ذلك هو الشاعر الحكيم "صالح بن عبد القدوس البصري" ، وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أوجزها فى النقاط التالية :-

١- استطاع "صالح بن عبد القدوس " أن يملك زمام لغة شعر الحكمة ،تلك اللغة التى يتمنى أكثر الشعراء أن يسموا إليها بيانا ورقة ،فكل ما صاغه الشاعر فى هذه القصيدة من نصائح وحكم عرضها فى أسلوب سهل مستساغ مقبول محبب إلى النفس .

٢- تمثل هذه القصيدة غرضا شعريا وتجربة من تجارب الحياة مزج بينها وبين الحكمة بصورة فنية رائعة ، وهذا غرض قديم قد تناوله الشعراء، واكتملت الوحدة العضوية بعناصرها المتمثلة فى وحدة الموضوع، حيث دارت أبيات القصيدة كلها حول موضوع واحد وهو تجربة الشاعر ونصحه للآخرين ،والتمسك بالعادات والصفات الحسنة، كحفظ الأمانة ، وصلة الأرحام ،إلى غير ذلك من الصفات التى تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتدور القصيدة أيضا حول التحذير من الصفات السيئة ، والتدقيق فى

البحث عن الأصدقاء، والتحذير من المتملقين والمنافقين ، وكل هذا ناتج عن تجربة الشاعر فى الحياة وتشم منها رائحة النصح والإخلاص فيه.

٣- من خلال دراسة القصيدة اتضح لنا ثقافة الشاعر الدينية فهو متأثر بالقران والسنة النبوية حيث كانت ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما زالت موردا عذبا يستقى منه الشعراء للارتقاء بأساليبهم ، وشاعرنا من أولئك الشعراء الذين اقتبسوا منها فجاءت معظم ألفاظ القصيدة مقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثلة على ذلك كثيرة وردت فى البحث من خلال تحليل الأبيات.

٤- استخدم الشاعر الأساليب البلاغية المتنوعة حيث الأساليب التقريرية والأساليب الإنشائية وقد أكثر من استخدام أسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد ؛لأن القصيدة كلها نصائح وحكم عرضت فى أسلوب فنى رائع يخدم الفكرة ويوضح المراد .

٥- أطرب الآذان وآثر فى النفس باستخدام الكلمات وضدها ،ومرادفها ،وتوكيدها مثل " ودع الكذوب" و" إن الكذوب" و" واحذر لسانك " و" تسلم باللسان" و"لا تحرصن" و"فالحرص" و"يشقى" و"يتعب" ...إلى غير ذلك .

٦- مال الشاعر إلى التشخيص والتجسيد فى خياله فاستخدم الاستعارة بكل أنواعها ، وكانت في غاية الدقة والأحكام ، حيث كانت وسيلة في تحويل المعنويات إلي محسوسات وكائنات حية لها ما للإنسان من صفات ، فاستخدم الاستعارة بأنواعها من تصريحية أصلية وتبعية ، وكذلك استخدم الاستعارة المكنية و كانت هي الغالبة في شعره على سائر

أنواع البيان ، وذلك لتشخيص وتجسيم ما يريد من صور ومعان ، وقد أجاد فيها الإجادة التي تدل علي براعته في صياغة معانيه بأسلوب رفيع وعبارة موجزة مثل" وزن الكلام" و" السر فاكتمه " و"يأتى رزقه" إلى غير ذلك ،كما استخدم التشبيه بكل أنواعه ، فكثيراً ما تضافرت وتلاحمت الألوان البيانية في البيت الواحد حتى بلغ حد الثراء في أداء المعني المراد

٧- استخدم محسنات بديعية بعيدة عن التكلف ، تظهر فيها روعة الخيال وصدق العاطفة .

٨- ابتعد الشاعر فى قصيدته عن الخيال المتكلف ؛لأنه قرر واقعا حقيقيا .

٩- من خلال معايشة القصيدة بدت لنا سمات الشاعر والتي من أهمها أنه رجل مخلص لأصدقائه ،مرهف الحس ،وفى لهم فى النصح ، شديد التعلق بالفضائل ، محب للخير والمثل العليا ، ولكن يبدو أنه مرة بتجربة مريرة من بعض الأصدقاء عانى منها الأمرين ويظهر ذلك فى الألفاظ التى أتى بها حينما وصفهم فى قوله على سبيل المثال :" وإذا تواري عنك فهو العقرب " ووصف الصديق بالعقرب يدل على ما ذكرت، كما يبدو من خلال الأبيات أن له تجربة مريرة مع المرأة ويظهر ذلك من خلال وصفه للمرأة فى قوله :" وإذا سطت فهى الصقيل الأشطب " ، وقوله "كالأفعوان" كلها تدل على مرارة ما لاقاه ذلك الرجل من هذين الصنفين من الناس .

وفى الختام .

أحمد الله تعالى وأشكره أن أعاننى على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التى أرجو أن أكون قد وفقت بها فى عرضه ،فهذا جهد المقل وعمل الضعيف، وحسبي أنى قد بذلت كل ما فى وسعى .

والله أسأل أن يرزقني الإخلاص فى القول والعمل ،وأوصى نفسي وطلاب العلم بالصبر على طريق العلم ففضائل الأمور لا تنال إلا بالصبر .

والحمد لله أولا وأخرا وصلي الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثير .

فهرس المصادر والمراجع

أولا القران الكريم

ثانيا المصادر والمراجع هى :-

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي – دار الكتب العلمية بيروت ط٣ ١٩٩٥م.

٢- الأدب العربي المعاصر في مصر د/شوقي ضيف دار المعارف ط٧ ١٩٧٩م.

٣- أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم تأليف مارون عبود مؤسسة هنداوى للتعليم والنشر سنة ٢٠١٤.

٤- أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القران الكريم ــ د/محمود موسى.

٥- أساس البلاغة ــ للزمخشرى ــ دار التنوير العربي ــبيروت لبنان ط٤ــ١٩٨٤ م

٦- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانى تحقيق/محمود محمد شاكر- دار مدني ط١ ١٩٩١ م

٧- أسس النقد الأدبي عند العرب ــ أحمد بدوي ــ نهضة مصر للطباعة والنشر١٩٩٦م.

٨- الأغاني لأبى فرج الأصفهانى تحقيق سمير جابر ، دار الفكر العربى ط ٢ بيروت لبنان .

٩- الإيضاح /للخطيب القزوينى ــتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل بيروت ط٣

١٠- البرهان في وجوه البيان -لابن وهب- تحقيق -حنفي شرف-مطبعة الرسالة٠
١١- البغية مع الإيضاح - عبد المتعال الصعيدي- ط ٢مكتبة الآداب ١٩٩١م.
١٢- البلاغة العربية فى ثوبها الجديد علم البيان د بكرى شيخ أمين دار العلم للملايين ٢٠٠٣ م .
١٣- البيان والتبين - للجاحظ تحقيق-عبد السلام هارون - ط٤ دار الفكر العربي.
١٤- البيان في ضوء الأساليب العربية د- عائشة حسين فريد - دار قباء للطباعة والنشر٢٠٠٠م٠
١٥- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للعلامة شرف الدين حسن بن محمد الطيبى تحقيق - هادى عطية الهلالي - ط١ -١٩٩٣ م عالم الكتب.
١٦- تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان دار مكتبة الحياة بيروت .
١٧- تاريخ مدينة بغداد للخطيب البغدادى تحقيق د بشار عواد معروف .
١٨- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق محب الدين أبى سعيد العمروي دار الفكر العربى سنة١٩٩٥م.
١٩- التصوير البياني د/محمد أبو موسى - مكتبة وهبه - القاهرة ط١ - ١٩٨٠م٠
٢٠- تفسير البغوى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى دار ابن حزم للطباعة والنشر ط١ ٢٠٠٢م

٢١- الجامع الكبير للإمام الترمذي تحقيق بشار عواد معروف دار المغرب الإسلامي ط١سنة ١٩٩٦م.
٢٢- حاشية الدسوقي على شرح السعد - ضمن شروح التلخيص - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٢٣- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار دار الكتاب العربى بيروت .
٢٤- دراسة في البلاغة والشعر د/محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط١ سنة ١٩٩١ م.
٢٥- دلائل الإعجاز-عبد القاهر الجرجاني - محمود محمد شاك- دارالمدنى١٩٩١ م
٢٦- دلالات التراكيب - محمد أبو موسى- مكتبة وهبه ط ٢سنة ١٩٧٨م.
٢٧- ديوان ابن عبد ربه جمعه وحققه د محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٧٩م.
٢٨- ديوان الإمام الشافعى المسمى الجوهر النفيس فى شعر الإمام محمد بن إدريس تحقيق محمد إبراهيم سليم مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع بدون تاريخ .
٢٩- ديوان على بن أبى طالب جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ط ١ سنة ١٩٨٨م .
٣٠- ديوان كعب بن زهير تحقيق الأستاذ / على قاعور دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٩٧م.
٣١- سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجى شرح / عبد المتعال الصعيدي - مكتبة صبيح سنة .١٩٦٩

٣٢- سنن أبى داود تحقيق شعيب الأرنؤط ومحمد كامل قره بللي دار الرسالة العالمية سنة ٢٠٠٩م .

٣٣- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز الذهبى تحقيق شعيب الأرنؤوط ، محمد العرقسوسي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ..

٣٤- الشعر والشعراء - لابن قتيبة -تحقيق/ أ حمد محمد شاكر- دار الحديث القاهرة٢٠٠٣م

٣٥- صالح بن عبد القدوس البصري تأليف وتحقيق عبد الله الخطيب.

٤٦- الصبغ البديعي - دأأحمد إبراهيم موسى- دار الكتب - القاهرة ١٩٦٩ م.

٤٧- صحيح البخاري تحقيق محمد عبد القادر عطا دار التقوى للتراث ط ١ سنة ٢٠٠١م

٤٨- صحيح مسلم ،شرح النووى يحي شرف الدين النووى دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان ط٣ ١٩٩٢هـ.

٤٩- الصناعتين - الكتابة والشعر- لأبى هلال العسكري - تحقيق/ مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط٢ سنة ١٩٨٤ م.

٥٠ - طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف ط٣ بدون ت.

٥١- الطراز - يحي بن حمزة العلوي - دار الكتب العلمية بيروت .

٥٢- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - لبهاء الدين السبكى- ضمن شروح التلخيص - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٣- والعصر العباسى الأول دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف مصر ط(٦ د ت).
٥٤- علوم البلاغة المعاني - البيان -البديع- للمراغـــى - تحقيـــق\أمين النووي- المكتبة التجارية ط٣ / ١٩٦٣ م٠
٥٥-علم البيان - د/ عبد الفتاح لاشين - دار المعارف ط٢ ١٩٨٥ م.
٥٦- العمدة في محاسن الشعر والنثر- ابن رشيق القيرواني - تحقيـــق/ محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية ط٣ ١٩٦٣ م.
٥٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المعو عبـــد الـــرؤف المنادى على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير لجـــلال الـــدين السيوطى طبعة دار المعرفة بيروت- لبنان ط٢ .١٩٧٢
٥٨- قراءة فى الادب القديم د محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبـــة ط ٤ ٢٠١٢م.
٥٩- الكشاف - للزمخشرى - دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
٦٠- لسان العرب -لابن منظور- دار المعارف.
٦١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق ا\أحمد الحـــوفى د / بدوى طبانة - ط٢ دار النهضة بمصر .
٦٢- معجم الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والنساء المســـتعربين والمستشرقين بسام عبد الوهاب الجابي - مطبعة - الجفـــان والجـــابي للطباعة والنشر ط١ سنة ١٩٨٧ م.
٦٣- مفتاح العلوم - للسكاكى- تحقيق / نعـــيم زرزور- الكتـــب العلميـــة بيروت - لبنان ط١ سنة ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص البحث باللغة العربية	٦٢٣٩
٢	Summary of the research in English	٦٢٤١
٣	مقدمة	٦٢٤٣
٤	التمهيد	٦٢٤٧
٥	الموازنة	٦٢٥٩
٦	الخاتمة	٦٣٢٤
٧	فهرس المصادر والمراجع	٦٣٢٨
٨	فهرس الموضوعات	٦٣٣٣

تم بحمد الله